الفارس

أحمد نجيب - الفارس ، رواية

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٩١٥٧ ISBN : 978-977-798-103-3

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .

© دار زيع

عضو ات ريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

الفارس

رواية

أحمد نجيب

(موت النبيّ)

اضطربت المدينة عن آخرها بعدما اشتدّ على النبيّ مرضُه ووجعه، كبار الصحابة يقفون حوله في غرفته والمئات ينتظرون خارج المسجد ليطمئنوا عليْه .

يتألّم النبي ويتساقط عرقه من جبهته بغزارة وهو يقول : لا اله إلّا الله.. إن للموت لسكَرَات ... يُردّدها أكثر من مرة

ثم ينادي على أصحابه ويقول : إئتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا معه بعدي أبداً

كانت كلماته مفاجأه للجميع فقد نزلت منذ شهرين آخر آيات القرآن

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليّكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) صدق الله العظيم

ورسول الله قد زاد عليْه المرض واشتدّ الألم والوجع .. فما الذي يريد كتابته ؟؟

وهل هو وحي إلهي أم وصية إنسانية ؟؟

فتنازعوا وقال البعض : رسول الله قد غلبه الوجع وعندنا القرآن.. حسبنا كتاب الله !!

وبعضهم قال : ما باله يهذي !!

وقال آخرون : قرّبوا لرسول الله يكتب كتاباً لا نضلُّ بعده

اختلفوا واختصموا وتعالت أصواتهم لغط وجدال .. فغضب النبي وقال : إليكم عني .. دعوني .. فما أنا فيه خيرٌ مِمّا تدعونني إليه

يخرج عليّ بن أبي طالب من عنده فيقول له الناس : كيف أصبح رسول الله ؟؟

فيرد عليّ : أصبح بحمدِ الله بارئاً

فيأخذ بيده العباس بعيداً عن الناس ويهمس له : إنّ رسول الله سيتوفى في مرضه هذا فإني أعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب.. اذهب إلى رسول الله واسأله فيمن يكون هذا الأمر من بعده .. فإن كان فينا علمناه وإن كان في غيرنا أمره وأوصى بنا

فقال عليّ : لئن سألناها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس أبداً

العباس مُحذّراً : يا عليّ .. ستكون عبد العصا بعد ثلاث (يعني ستكون مأموراً عليْك بعد ثلاث أيام)

عليّ بحسم : وإني والله لا أسألها رسول الله أبداً

فلمّا اشتد المرض يوم الجمعة أذن بلال للصلاة فلم يستطع النبي الخروج للصلاة فقال النبي : مُروا أبا بكر يُصلّي بالناس

قالت عائشة : إنه رجل رقيق ولا يُطيق ذلك

فقال النبي بحزم : مُروا أبا بكر يُصلّي بالناس

ثـم كانـت الليلـة الأخـيرة للنبـي وقـد تضاعـف وجعـه فجعـل يأخـذ المـاء بيديـه ويجعلـه عـلى وجهـه ويقـول : واكربـاه واكربـاه
فتقـول لـه ابنتـه فاطمـة وهـي تجلـس بجانبـه تمسـح عرقـه : واكـربي لكربـك يـا أبتـي
فيقول النبي : لا كرب على أبيكِ بعد اليوم
ويدنـو مـن أُذنهـا هامسـاً : إن جبريـل كان يعارضنـي بالقـرآن في كل سـنة مـرّة لكنـه هـذه السـنة عارضنـي بـه مرّتـين ولا أرى ذلـك إلا لإقـتراب أجـلي .. فاتقـي اللـه واصـبري
فتبكي فاطمة بُكاءً شديداً
يدنـو النبـي ثانيـة ويسـتطرد : أمـا ترضـين أن تكـوني سـيدة نسـاء هـذه الأمـة ؟؟
فتبتسم وتختلط بسمتها بدموعها ثم .. وقعت الفاجعة الرهيبة..

مات رسول الله..

خرجـت عائشـة مـن بابهـا عـلى المسـجد لأول مـرة في حياتهـا فعلـم الجميـع ..
وارتجّت المدينة بالبكاء وسادت حالة من الذهول والإرتباك ..
وسـمعوا فاطمـة تبـكي وتقـول : يـا أبتـاه أجـاب ربّـاً دعـاه .. يـا أبتـاه جنّـة الفـردوس مـأواه .. يـا أبتـاه إلى جبريـل ننعـاه ..
وعـليّ جالـس بالمسـجد .. يحـاول القيـام فـلا يسـتطيع .. جسـمه لا يُطاوعـه ..
ويـصرخ عمـر وهـو يلـوِّح بسـيفه : مـن قـال أنّ مُحمّـداً قـد مـات

قطعت رأسه .. إنه ذاهبٌ للقاء ربه كما ذهب موسى وسيعود

يقول له أبا بكر : اسكت يا عمر

فيأبى عمر ويواصل حالة الإنكار التي يعيشها قائلاً : لن يموت رسول الله حتى يُفنِي الله المنافقين ..

فيصعد أبا بكر المنبر ويقول : من كان يعبدُ مُحمداً فإن مُحمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت

ثم يتلو قول الله تعالى (وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرُسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم) !!

فيسقط عمر على الأرض من الصدمة وينفجر المسجد بالبكاء

ويقف عليّ مُستنداً على ولديه الحسن والحسين ليدخل على رسول الله يُقبّله بين عينيه قائلاً : طبت حياً وميتاً يا رسول الله .

(الخلافة)

مات النبي يوم الإثنين فاجتمع كبار رجال الأنصار ومعهم بعض المهاجرين يوم الثلاثاء في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا رجلهم سعد بن عبادة ليكون خليفة الدولة الإسلامية والذي لم يحضر هذا الإجتماع لمرضه .. وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فأسرعا إليهم

وقال أبا بكر : ما هذا ؟؟

فارتبكوا وقالوا : مِنّا أمير ومِنكم أمير

فقال أبا بكر : بل منّا الأمراء ومنكم الوُزراء

فقام عمر يقول : ألم تعلموا أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس

ثم استطرد بحسم : أيُّكم تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدّمهما النبي ..

ثم مدّ يده يُبايع أبا بكر فتبعه من في السقيفة .. البعض مُقتنعاً والبعض الآخر مُضطرّاً

ولم يُبايع سعد بن عبادة حتى مات .. أو أُغتيل

وبعض المهاجرين ممن لم يحضر قالوا بمُجرّد علمهم : لا نُبايع إلا عليّ بن أبي طالب

ومنهم الزبير بن العوّام الذي قال : لا أغمد سيفي حتى أبايع عليّ

لكنهم ما لبثوا أن انضموا للصّف وبايعوا أبا بكر

في أثناء هذا الحِراك السياسي كان عليّ مشغول بتغسيل النبي ومعه عمّه العباس

يغسّله بيديه وهو يقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله .. ما أطيبك حياً وميتاً

يفعل ذلك وهو يتذكّر ما فعله النبي معه منذ كان طفلاً

فعل معه أكثر مِمّا يفعله الأب مع ابنه

يتذكر حين كان في بيت النبي ومازال عمره ٦ سنوات ورآه يستدعي عمّهما العباس ويقول له : يا عم .. إنّ أبا طالب كثيرُ العيال فانطلق بنا نُخفّف عنه من عياله

واختاره النبي يومها ليربيه معه .. وأخذ العباس جعفر بن أبي طالب

لم يشعر لحظة أنه يعيش في بيت غريب عن بيت أمه وأبيه ..

كان ذلك قبل بعثة النبي ولم يختلف الأمر كثيراً بعد بعثته..

وفي أول أيام البعثة (كان عمره ١٠ سنين) وجد عليّ النبي يُصلي ومعه زوجته السيدة خديجة ولم يكن على وجه الأرض مُسلماً غيرهما

يقول له عليّ : ما هذا يا مُحمّد ؟؟

النبي : هذا دينُ الله الذي اصطفاه لعباده واختارني أن أكون

رسـولاً إليكـم فاشـهد ياعـليّ أن لا الـه إلا اللـه وأنّي رسـول اللـه
عـليّ : هـذا أمـرٌ لم أعهـده مـن قبـل فأنظـرني حتـى أُحـدّث أبي أبـو طالـب في هـذا
النبي : يا عليّ إن لم تُسلم فاكتُم هذا الأمر فإني لم أُحدّث أحداً
عليّ يفكر لحظات ثم يقول : فأنظرني إلى الغد
ويأتِ الغد .. فيقول له عليّ : أعِد عليَّ ما قلتهُ بالأمس
فأعاد النبي عليْه ما قاله
فقال عليّ : أشهد أن لا اله إلاالله وأنك رسول الله
وظلّ كاتماً إسلامه
حتى وجده أبو طالب يُصلّي فقال له : ما هذا الذي تفعل ؟؟
فحـكى لـه عـليّ مـا يعرفـه عـن الإسـلام وقـال : يـا أبـتِ آمنـتُ باللـه واتبعـتُ رسـوله وإني ثابـتٌ عـلى ذلـك
فقـال لـه أبـو طالـب : أمـا إن مُحمّـداً لا يدعونـا إلاّ إلى الخـير .. فأطعـه والزمه
انتهـى عـليٌّ مـن تغسـيل النبـي وتكفينـه ثـم الصـلاة عليْـه وأصرّ أن يحملـه إلى قـبره بنفسـه ويضعـه بيديـه
وبعـد أن انتهـى مـن دفنـه عـاد إلى بيتـه فوجـد السـيدة فاطمـة تبـكي وتقـول : أطابـت لكـم أنفسـكم أن تحثّـوا الـتراب عـلى رسـول اللـه وترجعـوا ؟؟
جلـس عـليّ خـارج البيـت مُسـتنداً عـلى جـداره لا يرغـب في الحديـث مـع أحـد أو رؤيـة أحـد
لم يكن يوماً يتصوّر أنه سيفقد رسول الله ...

اليوم فقده ...

فقده وفقد معه أكثر من نصف قوته ...

اليوم بدأ يشعر بالغُربة والوَحشة ...

حتى أبا بكر وعُمر أكثر من يعرفان فضله ومنزلته قد أنهيا أمر الخلافة دون رأيه ومشورته ودون أي اعتبار لحقه ...

لكنه متى كان يكترث بهذه الأمور أو يسعى لها ؟؟

فلتذهب الخلافة للجحيم .. فالهمّ أكبر من ذلك

كيف سيعيش حياته بدون رسول الله ..

يمُرّ عليْه أبو سفيان فيقول له : إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دمّ .. فيمَ أبا بكر من أموركم ؟؟ .. أين المستضعفان ؟؟ أين الأذلّان عليّ والعباس ؟؟ أبسِط يدك أبايعك يا عليّ .. فوالله لو شئت لأملأنّها عليْه خيلاً ورجالاً

فزجره عليّ وقال له : والله ما أردت بقولك هذا إلاّ الفتنة .. وإنك والله لطالما بغيت للإسلام شراً اذهب فلا حاجة لنا بنصيحتك..

فانصرف أبو سفيان مبتعداً

وظل عليّ جالساً هكذا يتذكر كل السنوات الطويلة والأحداث العظيمة التي عاشها مُلازماً لرسول الله جنباً بجنب وكتفاً بكتف كأبرّ ابن مع أعظم أب .

(ذكريات مع النبيّ)

كان عمره ١٣ عاماً عندما أمره النبي أن يدعو بني عبد المطلب كلهم لعزومة كبيرة في بيته ليعرض عليّهم الإسلام

انتظر النبي حتى فرغوا من الأكل ثم وقف يقول :

الحمد لله .. أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليْه .. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له

سكت لحظات ثم استطرد : والله لو كذبتُ الناس جميعًا ما كذبتكم ولو غررتُ الناس جميعًا ماغررتكم .. والله لتموتُنّ كما تنامون ولتُبعثُنّ كما تستيقظون ولتحاسبُنّ على ماتعملون وإنّها لجنّةٌ أبدًا أو نارٌ أبداً .. يا بنِي عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملكُ لكم من الله شيئاً .. والله الذي لا إله إلا هو إنّي رسول الله إليكم خاصّة وإلى الناس عامّة

فردّ أبو لهب بغضب وغلظة : إنّ هذه للسَوءَة .. خُذوا على يده قبل أن يأخذ غيركم

وأما العبّاس وحمزة فسكتا ونظرا إلى الأرض

وقال أبو طالب : امضِ لما أُمرتَ به فلا أزال أُحوطك وأمنعك ما بقيت ..

فقال النبي : فمن منكم يؤمن بما جئت به ؟؟

فأما حمزة والعباس وأبو طالب فأداروا رؤوسهم

سكت الجميع ولم يرُدّ أحد

لكن عليّ قطع هذا الصمت قائلاً : أنا أنصرك يا نبيّ الله وأتبعك فيما جئت به

فقام النبي قائلاً : إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فأسمعوا له وأطيعوا

فضحك القوم بسخرية .. وقال أبو لهب لأبو طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ..

فتجاهله النبي وقام يمُدّ يده بجدية وحزم قائلاً : ضع يدك في يدي يا عليّ ..

فوضع عليٌّ يده في يد النبي الذي قبض عليّها بحزم ..

فسكتوا جميعاً

مرّت الأيام ودعوة النبي تنتشر بين أرجاء مكة ولا يزال أبو طالب على عهده يمنعه ويحوطه ويُناصره حتى مات

وعزمت قريش على قتل النبي لإنهاء الأمر .. فقرّر النبي الهجرة إلى المدينة ..

وقال لِ عليّ : نَم في فراشي يا عليّ واطمئن فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهُه

كان المسلمين بعدها يستعجبون ويسألون عليّ : كيف نِمت ليلتها

وأنت تعلم أن صناديد قريش على الباب يتحيّنون الفُرصة للدخول عليّك وقتلك ؟؟

يرد عليّ : والله ما نِمت في حياتي ليلة أهدأ من هذه الليلة

ثم يُكمل ببساطة : فقد طمأنني رسول الله

وأمره النبي أن يؤدي الوادائع والأمانات إلى أهلها قبل الهجرة .. فمن المفارقات العجيبة أن أباطرة وصناديد قريش الذين كانوا يسعون لقتل محمد كان مُعظمهم يضع عنده أماناتهم وودائعهم ولا يثقون إلا به ..

فلما فرغ من ردّ الأمانات هاجر إلى المدينة ماشياً على قدميه ليلحق بالنبي حتى وصل وقد تفطرت قدماه

وبمجرّد وصول النبي سأل : أين عليّ ؟؟ ادعوا لي عليّا

قيل له : لا يستطيع أن يمشي

فأتاه النبي واحتضنه وبكى رحمةً لما بقدميه من الورم ومسح عليّهما بيديه الشريفتين فلم يشتكيهما بعدها طوال حياته

وشرع النبي في مُآخاة المهاجرين والأنصار فلم يترك أحداً إلا جعل له أخ ورفيق ..

إلّا عليّ الذي قال له: يا رسول الله .. آخيت بين كل أصحابك وتركتني ..

فابتسم النبي وقال : لأنك أخي يا عليّ في الدنيا والآخرة .. ترثني وأرثك ..

بعد سنة تقريباً ..

يذهب أبا بكر للنبيّ ليخطُب فاطمة فيقول له النبي : إنها صغيرة

يذهب عمر بعدها لنفس السبب فيرد النبي عليْه بنفس الردّ
وكان عـليّ بـن أبي طالـب يرغـب في الـزواج منهـا لكنـه يخجـل أن يطلبهـا لأنـه فقـير ويـرى أن الزهـراء الشريفـة بنـت النبـي تسـتحق معيشـةً أفضـل ..
فوجـد مـولاة لـه تسـأله : مـا يمنعـك أن تـأتي رسـول اللـه فيزوجـك فاطمـة ؟؟
قال : وهل عندي شيء أتزوج به ؟
فقالت : إنك إن جئت رسول الله .. زَوَّجَك
كانت المرأة وكان الجميع يعلم عمق العلاقة بينه وبين النبي
بالفعـل ذهـب للنبـي ليخطـب فاطمـة لكنـه مـا إن دخـل عليْـه وجلـس حتـى أُفحـم تمامـاً وتوقّفـت الكلـمات في حلقـه فلـم يسـتطع نطقهـا جلالـةً وهيبـة ..
سكت تماماً ..
فقال له النبي : ما جاء بك يا عليّ .. ألك حاجة ؟
فسكت ولم يرد
فقال النبي : مالذي جاء بك ؟
نظر إليه عليّ ولم يتكلم
فقال النبي مُبتسماً : لعلّك جئت تخطب فاطمة ؟
فابتسم عليّ وقال بسرعة : نعم نعم
النبي : وهل عندك من شيء تستحلّها به ؟
عليّ : لا والله يا رسول الله
النبي : ما فعلت بالدِرع التي سلحتكها ؟

عـليّ : عنـدي .. لكـن والـذي نفـس عـليّ بيـده إنهـا لحُطَميَّـة مـا ثمنهـا بأكـثر مـن أربعمائـة درهـم

فقال النبي : قد زَوَّجتُك .. فابعث بها فإنها صداقُ فاطمة

وبالفعل كانت الطاهرة بنت النبي من أقل نساء زمنها مُهوراً

وفي ليلة الزواج

وقال رسول الله لعليّ : لا تُحدثنّ شيئا حتى تلقاني

ويذهـب إليهـما النبـيّ فيطلـب مـاء يتوضـأ منـه ثـم يفرغـه عليّهـما

ويقـول : اللهـم بـارك فيهـما وبـارك عليّهـما وبـارك لهـما في نسـلهما

يقول له عليّ : يا رسول الله أنا أحبُّ إليك أم فاطمة ؟

يبتسم النبي ويقول : هي أحبُّ إليّ .. وأنت أعزُّ عليَّ منها .

(الفارس)

وحتى لو نسي كُل شيء فثمة مشاهد لن ينساها تلك اللحظات التي لمح في عيون النبي نظرة إعجاب وانبهار وفخر به جعلته دائماً يخوض المستحيل وينتصر عليْه ليراها مرة ثانية وثالثة وصل عليّ لذروة الجُرأة والشجاعة مع قِمة المثالية والمبادىء فكان بحق أعظم فارس في التاريخ .. كان دائماً مُبهراً ومُفاجئاً للجميع

ففي معركة أُحُد خرج طلحة بن عثمان حامل لواء جيش قريش يقول : يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يُعجلنا بسيوفكم إلى النار ويُعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل أحدٌ منكم يُعجله سيفي إلى الجنة أو يُعجلني سيفه إلى النار

فخرج له عليّ قائلاً : أنا أُعجلك إلى النار أو تُعجلني إلى الجنة

واشتبكا فضربه عليّ على رجله فسقط طلحة على الأرض فرفع عليّ سيفه ليقتله ..

فتوسل إليه طلحة وقد انكشفت عورته أثناء سقوطه : أنشدك بالله والرّحم يابن عمّ ..

فأغمد عليٌّ سيفه وتركه وعاد للجيش

فكبّر النبي وقال لعليّ : ما منعك أن تُجهز عليْه يا عليّ ؟

قال ببساطته المعهودة : إن ابن عمّي ناشدني حين انكشفت عورته.. فاستحييتُ منه ..

وقتها قال النبي لأصحابه بفخر وهو يُشير إلى عليّ : إنه منّي وأنا منه ..

وقيل أن جبريل قال للنبيّ : وأنا منكما

ويوم معركة الخندق عندما خرج عمرو بن ودّ وكان وقتها مشهوراً بأنه أقوى فارس في الجزيرة العربية كلها يُنادي على المسلمين : هل من مُبارز ؟

فيقوم عليّ (وهو تقريباً أصغر الحاضرين فقد كان عمره ٢٨ سنة) يقول : أنا له يا نبيّ الله ..

فيرد النبي مُشفقاً : اجلس يا عليّ ..

فيجلس ..

فيعود عمرو بن ود : ألا مِن رجل عندكم يُبارز ؟؟ أين جنّتكم التي زعمتم أنكم داخلوها إن قُتلتم ؟

فيقوم عليّ ويردُّه النبي : اجلس يا عليّ

وعمرو بن ود يواصل وهو يتبختر بفرسه في ساحة المعركة : أليس عندكم رجل تبرزونه إليّ ؟؟

فلم يستطع عليّ التحمُّل أكثر من ذلك فقام

فأمسكه النبي من يده قائلاً : إنه عمرو بن ود

فقال عليّ بحسم : وإن كان عمرو .. فأنا عليّ

فأذِنَ له النبي
فخرج عليٌّ يُواجهه
فقال له عمرو : يا بُنيّ إنك صغير وأنا لا أُحب أن أقتلك
فاستلّ عليّ سيفه قائلاً : ولكني أُحب أن أقتلك
فغضب عمرو وهاج فنزل من على فرسه وعقره ثم انقض على عليّ بسيفه بمنتهى القوة فاتّقاها عليّ بدرعه وضربه على رأسه فأصابت الخوذة وسقط لكنه نهض بسرعة واشتبكا في مبارزة قوية حتى علا الغبار ولم يعد أحدٌ يرى ما يحدث غير أنهم يسمعون صليل السيوف حتى هدأ الصوت فجأه وخفّ الغبار وعليّ يصيح: الله أكبر ..
ويخرج من بين الغُبار شامخاً عظيماً يجري على رسول الله
وعمرو بن ود يرقد صريعاً على الأرض
وبعدها بسنتين عندما أصبحت خيبر هي معقل المؤامرات والدسائس على الدولة الإسلامية فكان لابُدّ من مواجهتها وكانت حصونها منيعة
وانطلق المسلمون وقاد المعركة أبا بكر في أول يوم ثم عمر في اليوم الثاني لكنهما عادا وقد فشلا في اختراق الحصون
فقال النبيّ بحسم : لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يُحب الله ورسولَه ويُحبه الله ورسولُه .. لن يرجع حتى يفتح الله له
فصار الصحابة ليلتها يمُرّون كل دقيقة على رسول الله لعلّهم ينالون هذا الشرف العظيم حتى أن عمر ظل ّبعدها يقول: ما تمنّيتُ الإمارة في حياتي إلاّ في هذا اليوم

وجاء الصباح والجميع يترقّب ليعرف هذا الرجل الذي يختصّه الله ورسوله بحب ودرجة لا ينازعه فيهما أحد

فقال النبي : أين عليّ ؟؟

فقالوا : يشتكي عينه يا رسول الله

فقال : ائتوني به

فأتى عليّ وقد أصابه رمد في أحد عينيه فلا يستطيع فتحها

فمسح النبي على عينه بيده الشريفة وهو يدعوا له

يقول عليّ : فوالله ما صِرت بعدها أعرف أيُهما السليمة من المريضة ..

وقال النبي : خُذ الرّاية .. وانطلق يا عليّ ولا تلتفت ..

فقال عليّ : علام أقاتلهم ؟

النبي : انفد إلى ساحتهم ولا تقاتلهم حتى تدعهم إلى الإسلام وتُخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمرِ النِعم

وانطلق عليٌّ يقود الجيش حتى فتح الله له ودخلوا الحصون وبمجرد ما رآه اليهود صاحوا : هذا عليٌّ بن أبي طالب .. غُلبتم والذي أنزل على موسى

واشتدّت الحرب واجتمع الفُرسان من اليهود يهجمون على عليٍّ لإسقاطه وهو يقاتلهم بكل بسالة حتى أوقعوا درعه فأمسك بباب من أبواب الحصن مُلقى على الأرض وجعله درع (يقول أحد الصحابة : بعد أن فرغنا وجدتني أنا وسبعة من أصحابي نحاول رفع هذا الباب الذي كان يُقاتل به عليّ فما استطعنا) .

(رحيل فاطمة)

لم يتخلّف يوماً عن معركة خرج لها النبي إلا يوم تبوك عندما أمره النبي أن يخلُفه في أهله فأطاع الأمر على مضض .. فما أشدّها على فارسٍ مثله أن يتخلف عن معركة

واستغلّ منافقوا المدينة الأمر بعد خروج النبي بالجيش .. فجعلوا يقولون : إنّ مُحمداً لم يترك عليّ هذه المرة إلاّ استثقالاً منه

فلم يطيق عليٌّ ذلك .. فحمل سلاحه وانطلق يلحق بالنبي وأخبره بما يقوله المنافقون

فقال له النبي : كذبوا وإنما خلّفتك لِما ورائي

ثم استطرد النبي : يا عليّ .. أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى .. إلا أنه لا نبيّ بعدي

عليّ : بلى يا رسول الله

ثم عاد للمدينة

(اللهُمّ هؤلاء أهلي)

تتردد في أذنه هذه الجملة بصوت النبي فقد قالها كثيراً

لما نزلت آية (فمن حاجّك فيه مِن بعد ما جاءك من العلم فقُل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله عَلَى الْكَاذِبِينَ)

دعاه النبي هو وفاطمة والحسن والحسين وقالها : اللّهُم هؤلاء أهلي وعندما كان النبي عند زوجته أم سلمة وجاءتهُ فاطمة

فقال لها : ادعي زوجك وابنيك

فجاء عليّ والحسن والحسين فدخلوا عليْه

فأنزل الله عز وجل الآية (إنما يريدُ الله ليُذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيراً)

فرفع النبي يديه إلى السماء ثم قال : اللهُمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي .. فأذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا

حتى أن أم سلمة دخلت عليّهم مُسرعة تقول : وأنا معكم يا رسول الله ؟

فقال لها النبي : إنك إلى خير .. إنك إلى خير

لن ينسى ما حكاه له أنس بن مالك يوم أُهدِيَ النبي طائر مشوي بخبزه وصنابه

فقال النبي : اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام

فقالت عائشة : اللهم اجعله أبي (تقصد أبا بكر)

وقالت حفصة : اللهم اجعله أبي (تقصد عمر)

وقال أنس : اللهم اجعله سعد بن عبادة (يقصد سيد قومه)

ويدُقّ الباب فيذهب أنس لفتحه فيجد عليّ بن أبي طالب

فيقول له : النبي على حاجة (يعني مشغول)
فينصرف عليّ ويعود بعد دقائق فيُكرّر عليْه أنس نفس الكلام
ويتكرر الأمر للمرة الثالثة فيحتدّ عليْه عليّ ويعلو صوته
فينادي النبي لأنس : مَن بالباب يا أنس ؟؟
فيردّ أنس : إنه عليّ
فيقول النبي : إئذن له
ودخل عليّ فابتسم النبي وقال : اللهُم والي .. اللهُم والي
يتذكر عليّ كل هذا وهو في قمة حُزنه وأساه .. فلن يشعر أحد بحجم مصيبة فقدان النبيّ كما شعر بها ولن يتأثر بها أحدٌ كما تأثّر بها هو وفاطمة وأولادهم
لم يكن على ظهر الارض من أحد أقرب منهم وأحبّ لرسول الله
دائماً ما كانت أم سلمة تقول : إذا غضب النبي لم يجترىء أحد أن يُكلمه إلا عليّ بن أبي طالب
مَن سيُدافع عنه ويصُدّ عنه حُسّاده وحاقديه كما كان يفعل حبيبه رسول الله
لن ينسى يوم خرج قائداً لسريّة وعاد ليُفاجأ بأحد الصحابة يقول للنبي : ألم ترى إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا
فأعرض النبي عن القائل
فقام آخر يقول له : إن عليّ بن أي طالب فعل كذا وكذا
فأعرض عنه النبي
فقام ثالث ورابع يكررا نفس الكلام
فغضب النبي حتى ظهر على وجهه وقال لهم : ما تريدون من

عليّ ؟؟ ما تريدون من عليّ ؟؟ إنّ عليّاً مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي

مرّت أسابيع على رحيل النبي وهو تقريباً معتزل الناس لا يُخالط أحد حتى أنه لم يُبايع أبا بكر كما فعل الجميع

وأرسلت فاطمة لأبي بكر تُطالبه بميراثها من النبي حيث كان له أرض فدك كانت سهم في خيبر

فرفض أبا بكر وردّ عليّها : أنا أعول مَن كان يعول وأُنفق على من كان ينفق

فذهبت إليه وقالت له : مَن يرثك إذا مت ؟

أبا بكر : ولدي وأهلي

فاطمة : فما لك ترث رسول الله من دون أهله وولده ؟؟

أبا بكر: ما فعلت ذلك يا بنت رسول الله

فاطمة : بلى .. قد عمدت إلى فدك وكانت صافية لرسول الله فأخذتها وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته منا

أبوبكر : لم أفعل لكني سمعت رسول الله يقول (إنه يُطعَم النبي الطُعمة ما دام حياً فإذا قبضه الله رفعها)

فاطمة : فأنت وما سمعت .. وما أنا بسائلتك بعد مجلسي هذا

وخرجت فاطمة من عنده غاضبة ثائرة وظلّت في قطيعة معه حتى ماتت بعد وفاة النبي بستة أشهُر فقط كانت فيهم مريضة وكان عليّ مُلازمها .

(بيعة متأخرة)

بعد رحيل فاطمة أرسل عليّ لأبي بكر : أن اِئتنا ولا يأتِ أحدٌ معك
فأتاه أبا بكر ووجده قد جمع بني هاشم في بيته
جلس أبا بكر وتكلّم عليّ بوضوح كعادته : إنّنا لم يمنعنا أن نُبايعك يا أبا بكر إنكاراً لفضيلتك ولا نفاسةً عليّك بخيرٍ ساقهُ الله إليك .. ولكننا كُنا نرى أن لنا في الأمر حقاً قد استبددتم به عليّنا
فبكى أبا بكر
بكى لأنه تذكّر مشهدين لرسول الله حضرهم بنفسه
المشهد الأول : عندما أشار رسول الله وهو مُتكىء على قوسِه إلى خيمة كان جالساً فيها عليّ وفاطمة والحسن والحُسين
وقال : يا معشر المُسلمين .. أنا سلمٌ لِمن سالم أهلَ هذه الخيمة.. حربٌ لِمن حاربهم .. وليٌ لمن والاهم .. لا يُحبّهم إلا سَعيد الجد طيّب المَولِد .. ولا يبغضُهم إلا شقيّ الجدّ رديء المَولد
المشهد الثاني : أثناء عودتهم مع النبي من حِجّة الوداع عندما توقفوا في منطقة غدير خمّ بين مكة والمدينة ووقف النبي يخطُب في المسلمين وكان عددهم يُقارب المائة ألف فقال بعدما حمد الله: أيها الناس .. قد نبّأني اللّطيف الخبير أنه لم يُعمّر نبيٌ إلّا مثل

نصف عُمر الذي قبله .. وإنّي أُوشك أن أُدعَى فأُجيب .. وإني مسؤولٌ وأنتم مسؤولون .. فماذا أنتم قائلون ؟

ردّ عليْه المسلمون : نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً

النبي : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن مُحمداً عبده ورسوله.. وأنَّ جنَّته حقّ وناره حق .. وأنّ الموت حق وأن الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها وأن الله يبعث مَن في القبور ؟ ؟

قالوا : بلى نشهدُ بذلك

النبي : اللهم اشهد

ثم تابع : أيها الناس ألا تسمعون ؟

قالوا : نعم

قال : فإني فرطٌ على الحوض .. وأنتم واردون على الحوض .. وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى .. فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟؟

فنادى مُنادٍ : وما الثقلان يا رسول الله ؟

النبي : الثقلُ الأكبر كتابُ الله طرفٌ بيد الله عزّ وجلّ وطرفٌ بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا .. والآخر الأصغر عِترَتي .. وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليَّ

ثم أخذ النبيّ بيد عليّ بن أبي طالب فرفعها حتى رُؤيَ بياض إبطهما

وقال النبي : أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم

النبـي : إن اللـه مـولاي وأنـا مَـولَى المؤمنـين وأنـا أولى بهـم مـن أنفسـهم فمـن كنـت مَـولاه فعـليّ مـولاه

كرّرها النبي ثلاث مرات

ثـم اسـتطرد : اللهـم والِ مـن والاه وعـادِ مـن عـاداه .. وأحـبَّ مـن أحبّـه وأبغـض مـن أبغضـه .. وانـصُر مـن نـصره واخـذل مـن خذلـه .. وأدِر الحـق معـه حيـث دار

ثم ختم كلامه بقوله : ألا فليُبلغ الشاهد منكم الغائب

حتـى أن عمـر أقبـل عـلى عـليّ يقـول لـه : هنيئـاً لـك يـا بـن أبي طالـب أصبحـت وأمسـيت مـولَى كل مؤمـنٍ ومؤمنـة

بكى أبا بكر وهو يتذكر المشهدين بتفاصيلهما وكأنه يراهما الآن

ثـم قـال : واللـه لصلـة قرابـة رسـول اللـه أحـبُّ إليّ مـن صلـة قرابتـي وإني واللـه مـا ألَـوت في هـذه الأمـوال التـي كانـت بينـي وبينكـم إلا الخـير فـإني سـمعت رسـول اللـه يقـول (لا نُـورّث ومـا نتركـه فهـو صدقـة) وإني أعـوذ باللـه لا أذكـر أمـراً صنعـه محمـد إلا صنعتـه فيـه

يقول ذلك وهو يبكي

فقال له عليّ : موعدنا العشيّة للبيعة..

وبالفعـل ذهـب عـليّ إلى المسـجد وبايـع أبـا بكـر بعـد أكـثر مـن سـتة أشـهر مـن تولّيـه الخلافـة وأثنـى عليْـه وذكـر فضيلتـه وسـابقته

وعـاش في عهـد أبـا بكـر عونـاً لـه ثـم أكمـل المسـيرة في عهـد عمـر فـكان المستشـار الأول لعمـر وكان عمـر يقـول دائمـاً : أعـوذ باللـه مـن مُعضلـة لا أجـد فيهـا عـليّ بـن أبي طالـب

وتـزوج عمـر مـن أم كلثـوم بنـت عـليّ وأنجـب منهـا زيـد ورُقيّـة وكانت

أحـب زوجاتـه إليـه لأنهـا حفيـدة رسـول الله

كان عـليّ هـو الأقـرب لعمـر الـذي يسـتجيب لنصائحـه ويسـتعين دائمـاً بآرائـه وحكمتـه ويقـول : عـليّ أقضانـا ولـولا عـليّ لهلـك عُمـر

واسـتخلفه عمـر عـلى المدينـة عندمـا ذهـب لفلسـطين ليتسـلّم مفاتيـح بيـت المقـدس

وكان عمر إذا رأى عليّ قادماً وهو جالس تضعضع وتواضع

فيقـول لـه النـاس : يـا أمـير المؤمنـين تصنـع مـع عـليّ مـالا تصنعـهُ مـع أصحابـك

فيرُد عمر : وما يمنعني !! والله إنه مولاي ومَولى كل مؤمن

ظلّت الأمور مُستقرّة في عهد عُمر حتى طعنه أبو لؤلؤة المجوسي

وكانت البداية

بداية لصراع آخر في عهد جديد .. مُختلف تماماً عما سبق .

(أول العهد الجديد)

لمّا طُعِنَ عُمر التفّ الصحابة حوله .. يقولون له : استخلف عليّنا أحداً

فيرُد عمر بصعوبة وهو يُشير إلى عليّ بن أبي طالب : قد كنت جمعت أن أنظر فأولّي أمركم مَن هو أحراكم أن يحملكم على الحق .. غير أنّي لا أريد أن أتحمّلها حياً وميتاً ، ولكن أختار ستة من أهل الجنة عليّ بن أبي طالب وعُثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً .. فإذا وَلّوا أحداً فليؤدّ أمانته وأعينوه وأحسنوا مُؤازرته

ثم استطرد مُغمغماً : لو ولَّو الأجلح (كناية عن عليّ) لحملهم على الجادة

(يعني بالعامّية المصرية أنهم لو اختاروا عليّ هايمشّيهم ع العجين ما يلخبطهوش)

كل الشواهد تؤكد أن عمر كان يريد استخلاف عليّ ولا يرى غيره

أحـق بهـا إلا أنـه قـد يكـون خـشي مـن فكـرة الإسـتخلاف فقـال (لئـلا أتحملّهـا حيـاً وميتـاً) أو خـشي مـن نفـوذ قريـش وهـو يعلـم تمامـاً رفضهـم لشـخصية عـليّ وكراهيتهـم لـه كـما كانـوا يكرهـون عمـر وأكـثر حتـى وإن أخفـوا ذلـك بعـد إسـلامهم ومـا يترتـب عـلى ذلـك مـن وقـوع صراع عـلى السـلطة ، فاختـار طريقـة الشـورى بـين سـتة مـن كبـار الصحابـة وهـو يشـير لهـم بوضـوح (أن اختـاروا عـلي إن كنتـم تريـدون الحـق)

خرج الجميع من عند عمر فهمس العباس لعليّ : لا تدخل معهم

فقال له عليّ : أكره الخلاف

العباس : إذاً ترى ما تكره

وكان العباس مُصيباً

اجتمـع الخمسـة (لأن طلحـة كان خـارج البـلاد وقتهـا) في حجـرة عائشـة وتناجـوا حتـى ارتفعـت أصواتهـم

فقـال عبـد الرحمـن بـن عـوف : أيُّكـم يخلـع نفسـه منهـا عـلى أن يُولّيهـا أفضلكـم (يعنـي مـن منكـم يخـرج مـن المنافسـه ويكـون حكـماً بـين الجميـع يختـار منهـم الأفضـل)

فسكت الجميع

ففوجىء عليّ بعبد الرحمن يستطرد : أنا أخلع نفسي منها

ويرد عليْه عثمان : أنا أول من رضي

ويقول الباقين : قد رضينا بك حكماً

وعـليّ سـاكت .. فقـد كان عبـد الرحمـن بـن عـوف صهـر عثـمان بـن عفـان

فقال له عبد الرحمن : ما تقول يا أبا الحسن ؟؟
فقال عليّ : أعطني موثقاً لتؤثرنّ الحق ولا تتبع الهوَى ولا تخُصّ ذا رحِم
عبد الرحمن : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغيّر وأن ترضوا من اخترت لكم .. وعليَّ ميثاق الله ألا أخُصّ ذا رحم لرحمه
ثم التفت لعليّ وقال له : تقول أنك الأحقُّ بالأمر لقرابتك وسابقتك وحُسن أثرك في الدين ولم تبعد .. ولكن أرأيت لو صُرِف هذا الأمر عنك فلم تحضر فأيّ هؤلاء كنت تختار ؟؟
فقال عليّ : عثمان
ثم التفت عبد الرحمن لعثمان وقال له : تقول أنا شيخ بني عبد مناف وصِهر النبي وابن عمه فأين يُصرف هذا الامر عنّي !! ولكن لو لم تحضر فمن أحق الناس به ؟؟
فقال عثمان : عليّ
وانصرفوا يومها وقد انحصرت المنافسة بين عثمان وعليّ .. واتفقوا على حسم الأمر غداً بيد عبد الرحمن بن عوف
يقابل عليّ ومعه الحسين ، سعد بن أبي وقاص ليلتها فيقول له عليّ : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام . أسألك برحم ابني هذا من رسول الله وبرحم عمّي حمزة منك ألاّ تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً
ودار عبد الرحمن بن عوف ليلته بين أشراف القوم وأُمراء الجند يشاورهم

كان يؤيـدُ عـليّ كل الزُهّـاد والفقـراء الذيـن يعيشـونها للـه والذيـن فرحـوا بالإسـلام باعتبـاره ثـورة قضـت عـلى الطبقيـة وجعلـت النـاس سواسـية ..

وكان يؤيـد عثـمان أثريـاء الصحابـة ومعهـم فلـول مكّـة الذيـن أسـلموا في اللحظـات الأخـيرة مِمّـن ضجّـوا بسياسـات عمـر ويتطلعـون لعهـدٍ جديـد يعيشـون فيـه الدنيـا ويتنعّمـون بأموالهـم ..

فـكان عـمّار بـن يـاسر والمقـداد بـن الأسـود يقـولان لهـم : إن أردتـم ألا تختلـف النـاس فبايعـوا عـليّ..

وكان عبـد اللـه بـن أبي السـرح وعبـد اللـه بـن أبي ربيعـة يقـولان : إن أردتـم ألا تختلـف قريـش فبايعـوا عثـمان..

فتنـازع عـمّار مـع بـن أبي السـرح وشـتمه عـمار وقـال لـه : متـى كنـت تنصـح المسـلمين ؟..

ووقـف عـمار يقـول للنـاس : ان اللـه أكرمنـا بنبيّـه وأعزّنـا بدينـه فـأنّى تصرفـون هـذا الأمـر عـن آل بيـت نبيكـم..

فقـام رجـل مـن أشراف بنـي مخـزوم يـرد عليْـه : لقـد عـدوت طـورك يابـن سـمية .. مـا لـك وتأمـير قريـش أصـلاً ؟

وكاد يحدث اشتباك بين الفريقين..

فقال سعد بن أبي وقاص : أفرغ يا بن عوف قبل أن يفتتن الناس

فقـام عبـد الرحمـن بـن عـوف يقـول لعـليّ : عليّـك عهـدُ اللـه وميثاقـه لتعملـنّ بكتـاب اللـه وسُـنّة رسـوله وسـيرة الخليفتـين بعـده ؟؟

قال عليّ : أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي

فأعاد بن عوف على عثمان نفس الكلام فقال عثمان : نعم أعمل

فأخذ عبد الرحمن بن عوف بيد عثمان ورفعها قائلاً : اللهُمّ اسمع واشهد أني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان .. وبايعه فنظر عليّلهم بغضب وقال بمرارة : حبوتهُ حبوَ الدّهر .. وليس هذا أول يومٍ تظاهرتم فيه عليَّ فصبرٌ جميل والله المُستعان على تصفون .. والله ما ولّيت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك لأنك صِهره .. والله كل يوم هو في شأن

فقالله عبد الرحمن : يا عليّ لا تجعل على نفسك حجةً وسبيلاً فإني قد نظرت وشاورت الناس

فأشاح عليٌّ بيده وخرج غاضباً وهو يقول : سيبلغ الكتاب أجله

فقال المقداد : يابن عوف أما والله لقد تركته وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون .. ووالله ما رأيت مثل أهل هذا البيت وما أعلم رجلاً أقضى بالحق ولا أعدل منه .. رحمك الله من أهل هذا البيت ومن هذا الرجل .

(انفراط العقد)

لم يحزن عليٌّ على فوات السُلطة للمرّة الثانية وهو يعلم أنها حقه وإنما حُزنه ومرارته على نفور الناس من الحق وفرارهم منه وتكالبهم وتآمرهم عليْه

سواء تمّ الأمر باتفاق ضمني مُبرم بينهم كما يشعر أو حتى باتفاق معنوي بين قلوبهم بوجوب إبعاد هذا الرجل عن السُلطة كان عليّ مثالاً للإستقامة والشرف والزُهد وكان ذلك سبباً رئيسياً في خوف كبارات قريش منه وكراهيتهم له

لذلك لم يكن يناصره سوى الثوار والفقراء .. ومتى كان الثوار والفقراء ينتصرون ويحكمون !!

(إن الأمّة ستغدر بِك من بعدي)

جملة قالها حبيبه رسول الله له قبل موته .. تتردّد في أذنه الآن

هل هذه هي الغدرة أم أنه مازال هناك غدرات أكبر وأعظم !!

حذّره عمّه العباس أمس أثناء انعقاد الشورى قائلاً : لم أرفعك في شيء إلا رجّعتني مُستأخراً لِما أكره .. أشرت عليّك عند وفاة النبي أن تسأله فيمن الأمر فأبيت .. أشرت عليّك بعد وفاته أن تُعاجل الأمر

فأبيت .. أشرت عليّك حين سمّاك عمر في الشورى ألا تدخل معهم فأبيت .. فاحذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به غيرنا..

لكن على أية حال .. لعلّ الأيام تخلف ظنونه وتستقيم الأمة مع عثمان كما كانت مع عمر

في أول عهد عثمان لم يشعر أحد بتغيير في سياسات الدولة وبالتالي ظلّت الأمور مُستقرة نسبياً لكن ما إن مرّت سنوات قليلة حتى شعر الجميع بالفارق

فقد حدث انقلابٌ ناعمٌ في النظام الاجتماعي الذي أسّسهُ عمر شعر به الجميع

حدث انفتاح غريب على الدولة الإسلامية أفسد النفوس الدنيئة ومنح لها فرص الإنحراف وأغضب النفوس السويّة وأسخطها على كل شيء

كان عثمان بطبيعته معطاءً جواداً كريماً مع أهله وأقاربه وكانت ثروته قبل الخلافة تسمح له بذلك لكن استمراره في العطاء بعد خلافته فتح الباب للغضب الشعبي خصوصاً أن جزء كبير من هذه الأعطيات كانت من بيت المال بصفته حاكم البلاد ولم يعُد عثمان يفرق بين الحالتين

كان عمر يحبس كبار الصحابة في المدينة فلا يخرج أحدهم إلا بإذنه لكن عثمان فكّ هذا العقال فانطلقوا خارج المدينة وأصبحوا رجال مال وأعمال وتضخّمت ثرواتهم حتى أصبح على سبيل المثال الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله يمتلكان الكثير من الضياع

والعبيد والإماء في معظم بلاد المسلمين وحتى من كانوا بطبيعة الحال أثرياء كبني أمية تضاعفت ثرواتهم بشكل مخيف بسبب هذا الإنفتاح

كان عمر يحسب أموال ولاته قبل توليتهم أي إمارة ثم يحسبها بعد عزلهم فإذا وجد فرقاً أخذه ووزعه على المسلمين .. وكان يقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء ووزعتها على الفقراء

فكان يطبق مبادىء العدالة الاجتماعية التي جاء بها الإسلام بحذافيرها أما عثمان فكان يرى أنهم مطالبون فقط بالزكاة وهم أحرار في باقي ثرواتهم

كان عمر حازماً شديداً على ولاته لدرجة أن يضرب عمرو بن العاص والي مصر بالسوط لأن ابنه استغل سلطانه وضرب قبطي مصري

أما عثمان فكان ولاته يفعلون بالناس ما يشاءون حتى أن الوليد بن عقبة أحد ولاته خرج يصلّي بأهل الكوفة وهو مخمور

عثمان جعل مروان بن الحكم وزيره .. ومن هو مروان بن الحكم

مروان هذا الذي كان أبوه الأكثر ايذاءاً للنبي في كفره ولم يُسلم إلا مُضطراً بعد فتح مكة ، وظل مؤذياً للنبي فكان يسعى وراءه ويغمز عليْه ويقلده ساخراً ، وكان يتجسّس على النبي ولما رآه النبي مرّة غضب وقال (من عذيري من هذا الوزغ) .. وأخرجه من المدينة نهائياً

وكان مروان كارهاً لآل البيت حاقداً عليّهم كما كان أبوه مع النبي

وقد لقي الحسن والحسين في مرة فاختلف معهم فقال : إنّكم أهلُ بيتٍ ملعونون

فقام الحسين يسبُّه وكاد أن يضربه والحسن يحاول تهدئته

ثم قال له الحسن : لقد لعن الله أباك وأنت في صُلبه على لسان نبيّه فقال (لعن الله الحَكَم وما ولد)

كان مروان هذا الوزير والمستشار الأول لعثمان وترك عثمان عُمالَه ووُلاته يُسرفون في العُنف مع أي مُعارض وهو شخصياً ضرب عمار بن ياسر مرّة عندما قال له أنه انحرف عن سياسات أبا بكر وعمر وأمر بإخراج عبد الله بن مسعود من المسجد فأخرجه رجاله بعنف حتى انكسر أحد أضلاعه حتى أن عائشة يومها قالت لعثمان : تفعل ذلك مع صاحب رسول الله !!

وأبو ذر .. ذلك الزاهد الثائر الذي ضجّ معاوية به فقد كان دائماً ينادي بحقوق الفقراء ويؤلّبهم على الأغنياء ويلعن هذه الطبقية الجديدة في المجتمع الإسلامي فاستدعاه عثمان يسأله

فقال له أبوذر : لا ينبغي لمن أدّى الزكاة أن يقنع حتى يُطعم الجائع ويُعطى السائل ويبرُّ الجيران

فردّ كعب الأحبار (كان أحد أحبار اليهود الذين أسلموا وكان مُقرباً من عثمان) : من أدّى الفريضة فحسبه

فثار أبو ذر وصاح فيه : أتُعلمنا ديننا يابن اليهودية

فطرده عثمان وأمره أن يخرج خارج المدينة ونفاه إلى الربذة

لحِق به عليٌّ ومعه الحسن والحسين يودّعوه فقابلهم مروان بن الحكم يقول لعليّ : يا عليّ .. إن أمير المؤمنين نهى الناس أن

يُشـيّعوا أبـا ذر فـإن كنـت لا تعلـم فقـد أعلمتـك

فشـتمه عـليّ وحمـل السـوط فـضرب راحلتـه قائـلاً : تنَحَّ عنّـا .. نحّـاك اللـه إلى النـار..

باختصار انفرط العقد ولم يعد أبداً بالإمكان عودته كما كان .

(المعارضة)

لم تبدأ معارضة عثمان باتفاق أو في وقت معين عقب حدث معين وإنما كانت أحداثاً متعاقبة ارتفعت فيها نبرة المعارضة والإحتجاجات تدريجياً

كان هناك خاتماً للنبي يختم به كل رسائله للملوك والسلاطين ظلّ معه حتى وفاته فتختم به أبا بكر ثم عمر ثم عثمان لمدة ست سنوات حتى كان يجلس عند بئرٍ ويعبث به فسقط منه في البئر فجعلوا يبحثون عنه حتى نزحوا الماء من البئر ولم يجدوه فاغتمّ عثمان له غمّا شديداً وتشاءم المسلمون بهذه الواقعة وصاروا يتحدّثون أنها رمزاً لانحراف عثمان عن طريق من سبقوه

اشتدّ سخط الناس عليْه واستهزأوا به فسمّاه بعضهم (نعثل) نسبة لشيخ يهودي أحمق كان في المدينة وأصبح الناس يتناقلون بينهم هذا الإسم كناية عن عثمان

كان عمر يقول لعثمان (إذا وُلّيت يوماً الخلافة فلا تحمل بني أُميّة على رقاب الناس)

وسواء حدث ذلك بإرادة عثمان أو بضفعه .. فقد حدث وكان الناس يفدون من كل ولايات المسلمين على أربع رموز في المدينة

يشـتكون سياسـات عثـمان ووُلاتـه ..

عـليّ بـن أبي طالـب والزُبـير بـن العـوام وطلحـة بـن عُبيـد اللـه وعائشـة بنـت أبي بكـر ..

كانـت عائشـة مـن أشـدّ النـاس إنـكاراً عـلى عُثـمان وصاحـت بـه حـين رأت رجالـه يعتـدون عـلى عبـد اللـه بـن مسـعود في المسـجد : أتفعـل ذلـك بصاحـب رسـول اللـه ؟؟

لدرجـة أن النـاس نقلـوا عنهـا أنهـا قالـت في لحظـة غضـب : اقتلـوا نعثـل فقـد كفـر

وكان أهـل البـصرة يجتمعـون عنـد طلحـة ينتقـدون عثـمان وسياسـاته ويُمنّـون طلحـة بالخلافـة وهـو يُؤلّبهـم عليْـه لدرجـة أنـه شـارك معهـم في حصـار عثـمان ..

والزُبـير كان بيتـه مركـزاً لأهـل الكوفـة الوافديـن إلى المدينـة ينفثـون فيـه عـن غضبهـم ضـد عثـمان ويتحدثـون عـن أحقيتـه بالخلافـة وكان الزبـير لا يُحرّضهـم ولا يُنكـر عليّهـم ..

أما عليّ فكان مُختلفاً كعادته ..

كان يملك مروءة نادرة .. لو وُزّعت على أهل الأرض جميعاً لكفتهم

فرغـم إيمانـه بأحقيتـه في الخلافـة حتـى مـن قبـل عثـمان إلا أنـه كان يُنكـر عـلى النـاس تحريضهـم عـلى قتـل عثـمان وفي نفـس الوقـت يذهـب إلى عثـمان يطالبـه بحقـوق النـاس ..

تـارةً يزجـر النـاس عـلى تجاوازتهـم في حـق عثـمان وتـارة يذهـب لعُثـمان يصيـح فيـه مُطالبـاً بحقـوق النـاس .. كان بسـبب مروءتـه وحُبّـه للحـق يعيـش بـين شِـقّي رحـى

فـما أصعـب أن تكـون ثائـراً عـلى نظـامٍ جائـرٍ فتجـد في صفّـك مـن يطغـى ويظلـم مُسـتغلّا الثـورة ومُحتميـاً بردائهـا !!

كان أهـل الكوفـة يريـدون الزبـير وأهـل البـصرة يريـدون طلحـة أمـا أهـل مـصر فكانـوا لا يُريـدون إلّا عـليّ

حتـى عبـد الرحمـن بـن عـوف الـذي جامـل عثـمان عـلى حسـاب عـليّ غضـب منـه بعدمـا سـخط النـاس عـلى عُثـمان وعليـه لأنـه سـبب في تولّيـه الخلافـة وقـال لـه : إني إنمـا قدّمتـك عـلى أن تسـير فينـا بسـيرة أبـا بكـر وعمـر وقـد خالفتهـما

عثمان : عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله

عبد الرحمن : لله عليَّ أن لا أكلمك أبداً

ومات عبد الرحمن وهو لا يُكلم عثمان

يأتِ الناس لعليّ يشتكون له عثمان

فينطلـق عـليٌّ إليـه يقـول لـه : النـاس ورائي وقـد كلّمـوني فيـك ووالله مـا أدري مـا أقـول لـك !! فأنـا لا أعـرف شـيئاً تجهلـه ولا أدُلّـك عـلى أمـرٍ لا تعرفـه .. فإنـك لتعلـم مـا أعلـم فـما سـبقناك إلى شيءٍ فنُخـبرك عنـه ولا خلونـا بـشيء فنبلغكنـه ومـا خصصنـا بأمـرٍ دونـك .. وقـد رأيت وصحبـت رسـول اللـه وسـمعت منـه ونلـت صهـره .. ومـا ابـن أبي قحافة بـأولى بعمـل الحـق منـك ، ولا ابـن الخطـاب بـأولى بـشيء مـن الخـير منـك ، وأنـت أقـربُ منهـما إلى رسـول اللـه رحـماً وصِهـراً .. فاللـه اللـه في نفسـك فإنـك واللـه مـا تُبـصر مـن عمـى ولا تعلـم مـن جهالـة ، وإن الطريـق لواضـح بـيّن ، وإن أعـلام الديـن لقائمـة .. واعلـم يـا عثـمان أن أفضـل عبـاد اللـه إمـامٌ عـادل هُـدِيَ وهَـدَى ، وإن شرّ النـاس عنـد اللـه

إمـامٌ جائـر ضـلّ وأضـلّ .. وإني أحـذرك اللـه وسـطواته ونقماتـه فـإن عذابـه شـديد أليـم .. وأُحـذّرك أن تكـون إمـام هـذه الأمـة الـذي يُقتـل فيفتـح عليّهـا القتـل والقتـال إلى يـوم القيامـة ، ويُلبـس أمورهـا عليّهـا ويتركهـا شـيعاً لا يُبـصرون الحـقّ لعلـو الباطـل ويمرجـون فيهـا مرجـاً

فقـال عثـمان : أمـا واللـه لـو كنـت مـكاني مـا عنّفتـك ولا أسـلمتك ولا عِبـت عليّـك أن وصلـت رحـماً أو ولّيـت شـبيهاً بمـن كان عمـر يـولي .. أنشـدك اللـه يـا عـليّ ألا تعلـم أن عُمـر ولّى المغـيرة بـن شـعبة ؟

عليّ : نعم

عثمان : فلِمَ تلومني أن ولّيت ابن عامر وهو قريبه ؟

عـليّ : يـا عثـمان .. إن عمـر كان يطـأ عـلى صـماخ مـن ولّى (يعنـي يقـف عـلى رأسـه) وإن بلغـه عنـه حـرف جلبـه ثـم بلـغ بـه أقـصى العقوبـة وأنـت لا تفعـل .. ضعفـت ورققـت عـلى أقربائـك

عثمان : وهم أقرباؤك أيضاً

عليّ : أجل .. إن رحمهم مني لقريبة .. ولكن الفضل في غيرهم

عثمان : هل تعلم أن عُمر ولَّى معاوية الذي ولّيته ؟؟

عـليّ : أُنشـدك اللـه .. هـل تعلـم أن معاويـة كان أخـوف لعمـر مـن يرفـأ غُـلام عمـر ؟

عثمان : نعم

عـليّ : فـإن معاويـة يقتطـع الأمـور دونـك ويقـول للنـاس هـذا أمـر عثـمان .. وأنـت تعلـم ذلـك فـلا تغـير عليْـه

قالها ووجد أن المناقشة غير مجدية .. فخرج

خـرج عثـمان للمسـجد فجلـس عـلى المنـبر ثـم قـال : أمـا بعـد فـإن

لـكل شيءٍ آفـة ولـكل أمـر عاهـة .. وإن آفـة هـذه الأمـة وعاهـة هـذه النعمـة عيّابـون طعّانـون يرونكـم مـا تُحبـون ويسـترون عنكـم مـا تكرهـون .. يقولـون لكـم ويقولـون .. أمثـال النعـام يتبعـون أول ناعـق.. لا يشربـون إلا نغصـاً ولا يـردون إلا عكـراً .. ألا والله فقـد عبتـم عـليّ مـا أقررتـم لابـن الخطـاب بمثلـه ولكنـه وطِئكـم برجلـه وضربكـم بيـده وقمعكـم بلسـانه فدِنتـم لـه عـلى مـا أحببتـم وكرهتـم .. وأنـا لِنـت لكـم وأوطأتكـم كتفـي وكففـت يـدي ولسـاني عنكـم فاجترأتـم عـليّ . أمـا والله لأنـا أعـزُّ نفـراً وأقـربُ نـاصراً وأكـثر عـدداً وأحـرى إن قلـت هلُـمّ أتي إليّ ، ولقـد عـددت لكـم أقرانـاً ، وأفضلـت عليّكـم فضـولاً وكـشّرت لكـم عـن نـابي ، وأخرجتـم منـي خُلُقـاً لم أكـن أُحسـنه ومنطقـاً لم أنطـق بـه ، فكُفّـوا عنّـي ألسـنتكم وعيبكـم وطعنكـم عـلى ولاتكـم .. فوالله مـا قـصّرت عـن بلـوغ مـا بلـغ مـن كان قبـلي ولم تكونـوا تختلفـون عليْـه .

فقـام مـروان بـن الحكـم يقـول : إن شـئتم حكّمنـا والله مـا بيننـا وبينكـم السـيف

فقـال عثـمان : اسـكت .. دعنـي وأصحـابي ، مـا منطقـك في هـذا ! ألم أتقـدم إليـك ألَّا تنطـق ؟

فسكت مروان ونزل عثمان من المنبر

لكـن مـا قالـه للنـاس كان أشـدّ عليّهـم حتـى مـن مـما قالـه مـروان ولم ينفعـه إسـكاته لمـروان

فقد اتسعت الفجوة بينه وبين الناس كثيراً .

(شرارة الثورة)

جاء عثمان يشتكي طلحة لعليّ أنه يستغلّ غضب الناس ويُؤلّبهم عليْه فخرج عليّ إلى طلحة وقال له : ماهذا الأمر الذي وقعت فيه يا طلحة ؟

واستمع عليٌّ للغاضبين عنده من أهل البصرة حتى علم مطالبهم فأخذهم إلى بيت المال وأمر الحُراس أن يفتحوه فرفضوا فكسر الباب وأعطى الناس .. وانصرفوا من عند طلحة الذي ذهب لعثمان يقول له : يا أمير المؤمنين أردت أمراً فحال الله بيني وبينه فردّ عثمان حزيناً : والله ما جئت تائباً ولكن جئت مغلوباً والله حسيبك يا طلحة.

زادت احتجاجات الناس على عثمان من كثرة أُعطياته لأقاربه فأعلن عثمان أنه سيعطي من بيت المال لمن يُريد وإن رغمت أنوف الكارهين

فقال له عليٌّ مُتحدّياً : إذاً نمعنك من ذلك ونحول بينك وبينه

حتى جاءت السنة الأخيرة لعثمان والبلاد على صفيح ساخن وتجرأ الناس على عثمان بحق وبغير حق فلا يرونه إلا ويقولون له : قم

يـا نعثـل .. انـصرف يـا نعثـل
حتى صار لا يستطيع النزول بين الناس
أرسل عثمان لعليّ وطلحة والزبير وكان عنده معاوية
بـدأ الـكلام معاويـة فقـال : أنتـم أصحـاب رسـول اللـه صـلى اللـه عليْـه وسـلم وخِيرتـه مـن خلقـه ووُلاة أمـر هـذه الأمـة لا يطمـع فيـه أحـدٌ غيركـم .. اخترتـم صاحبكـم عـن غـير غلبـة ولا طمـع وقـد كـبر وولّى عمـره ولـو انتظرتـم بـه الهِـرَم لـكان قريبـاً مـع إنّي أرجـو أن يكـون أكـرم عـلى اللـه أن يبلغـه ذلـك .. وقـد فشـت مقالـة خفتهـا عليّكـم فـما عتبتـم فيـه مـن شيء فهـذه يـدي لكـم بـه .. ولا تطمعـوا النـاس في أمركـم فواللـه إن طمعـوا فيـه لا رأيتـم منهـا أبـداً إلا إدبـاراً (كأنـه يُهددهـم)
فصاح علي فيه : مالك ولذلك لا أُمّ لك
معاويـة : دع أُمـي فإنهـا ليسـت بـشرٍّ أمهاتكـم وقـد أسـلمت وبايعـت النبـي .. أجبنـي عـما أقـول لـك
عثـمان : صـدق ابـن أخـي .. أنـا أخبركـم عنـي وعـمّا وُلّيـت .. إن صاحبيّ اللذيـن كانـا قبـلي ظلـما أنفسـهما ومـن كان منهما بسـبيل احتسـاباً وإنّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليْـه وسـلم كان يُعطـي قرابتـه .. وأنـا في رهـطٍ أهـل عيلـة وقلـة معـاش فبسـطتُ يـدي في شيء مـن ذلـك المـال لمـا أقـوم بـه فيـه فـإن رأيتـم ذلـك خطـأ فـرُدّوه فأمـري لأمركـم تبـع
فغمغم عليّ : ما كنت أرى في هذا خيراً
وخرجوا من عنده وعليّ بالفعل لا يرى في هذا خيراً أبداً كما قال
ازداد الوضـع العـام التهابـاً وسـخونة خاصـة في مـصر عـلى الـوالي عبـد

الله بن أبي السرح الذي عيّنهُ عثمان بعدما عزل عمرو بن العاص وابن أبي السرح هو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة وكان مكروهاً من مُعظم المسلمين حيث أنه ارتدّ بعد إسلامه وبعد ما كان من كُتّاب الوحي أصبح يطعن في القرآن وفي صدق النبي حتى أنّ النبي أمر بقتله يوم فتح مكة ولو كان مُتعلقاً بأستار الكعبة لكنه اختبأ في منزل عثمان الذي أخذه من يده وذهب به لرسول الله يتوّسط في العفو عنه وبالفعل عفا عنه النبي على مضض وصار بعدها يُقابل النبي فلا يضع عينه في عين النبي خزياً وخجلاً كرهه المصريين من أول يوم فهم يعلمون تاريخه وزاد غضبهم عليْه بعدما عاملهم بقسوة وضاعف الضرائب والجبايات فرفضوا سياساته تماماً وتوالت زياراتهم على المدينة يشتكونه لعثمان حتى أن عائشة كانت تقول لعثمان : أنصف الناس من عاملك

لكنه للأسف لم يتخذ أي اجراء لتهدئتهم

وانطلقت شرارة الثورة من مصر

خرج المئات من المصريين للضغط على عثمان لتغيير سياساته ومطالبته بعزل عبد الله بن أبي السرح .. ودخلوا المدينة وكان بها العشرات من الغاضبين من البصرة والكوفة وحتى المدينة .. فاشتعلت المدينة

خرج عثمان يُصلّي بالناس الجُمعة واختلف الناس بين مؤيدين لعثمان ومعارضين له وارتفعت أصواتهم في المسجد وتشاجروا وقال له أحد الغاضبين : قم يا نعثل وانزل من على هذا المنبر

وأخذ العصا وكسرها على رجله اليمنى حتى سقط عُثمان

مغشـياً عليّه

فحملـوه إلى بيتـه وذهـب عـليّ وطلحـة والزبـير يعودونـه وكان عنـده نفـر مـن بنـي أُميـة ومنهـم وزيـره مـروان بـن الحكـم الـذي قـال لعـليّ : أهلكتنـا وصنعـت هـذا الصنيـع بأمـير المؤمنـين .. أمـا واللـه لـئِن بلغـت الـذي تريـد لتمُـرنّ عليّـك الدنيـا

فنظر عليّ لعثمان الذي لم يتكلّم ويردّ عنه

فقام عليّ غاضباً .. وقد استقر ألا يعود إليه أبداً .

(العهد)

ظل المصريون الثائرون في المدينة يضغطون على عثمان لتنفيذ مطالبهم وهو لا يدري ما يفعل حتى أشار عليْه مستشاروه أنه لن يرُدّهم إلا عليّ

فأرسل إليه عثمان لكنه رفض المجيء فذهب إليه لترضيته

دخل عليْه عثمان قائلاً : السلامُ عليّك يا أبا تُراب

التفت عليّ وابتسم بتلقائية فقد مرّت سنوات عليْه لم يسمع أحد يُناديه بهذا الإسم الغالي عليْه

أطلقه عليْه رسول الله يوم اختلف مع زوجته فاطمة وترك البيت ولمّا علم النبي ذهب إليه فوجده نائماً في المسجد

فقال له النبي مُشفقاً وهو يمسح التراب عنه : ما يُنيّمك في التراب!!

ثم ابتسم واستطرد : قُم أبا تراب .. والله حُجرة بنت رسول الله خيرٌ من التراب

وصار بعدها أحبُّ الأسماء إليه لأن حبيبه رسول الله هو من أطلقه عليْه

سلّم عثمان على عليّ ثم قال : يابن عمّ .. إنّ قرابتي قريبة ولِي عليك حقٌّ عظيم .. وقد جاء ما تري مِنْ هؤلاء القوم وهم مُصَبحِيَّ .. ولك عندهم قَدْرٌ فهم يسمعون منك .. وأُحِب أنْ تركب إليهم فتردّهُم عنّي فإنّ في دخولهم عليّ ترهيناً لأمري وجُرأة عليّ عليّ : على أي شيء أرُدهّم عنك يا عثمان ؟

عثمان : على أنْ أصير إلى ما أشرتَ إليه ورأيتَه لي

عليّ : إني قد كلمتُك مرّة بعد أخرى فَكُل مرة نخرج ونقول ثم ترجع عنه .. وهذا مِنْ فِعل مروان وابن عامر ومعاوية وبن أبي السرح .. فإنك أطعتهم وعصيتني

عثمان : فأنا الآن أعصاهُم وأُطيعك

قالها عثمان فلم يتردد عليّ

انطلق للمصريين الغاضبين يُكلّمهم أن عثمان سينفّذ مطالبهم على أن يعودوا إلى مصر

وبالفعل رضخوا له فقد كانو يُحبّونه حُبّاً شديداً

وقرّروا العودة لِمصر بعد أن ضمِن لهم عليّ أن الخليفة سيُعدّل سياساته ويُعالج أخطاءَه

وعاد عليّ لعُثمان فقال له : انزل للناس وتحدّث إليهم حديثاً يسمعوه منك ويشهدون عليّك ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والأمانة .. فإن البلاد قد تمخّضت عليّك .. فلا آمن أن يجيء ركبٌ آخر من الكوفة والبصرة فتقول: يا عليّ اركب إليهم .. فإن لم افعل رأيتني قد قطعت رحمك واستخففت بحقك

خرج عثمان فخطب خُطبة يُعلن فيها اعترافه بأخطائه وتوبته

فقال : أيها الناس والله ما عاب مَن عاب منكم شيئاً أجهلُه وما جئتُ شيئاً إلّا وأنا أعرفه .. ولكني منّتني نفسي وكذبتني وضلّ عني رُشدي ولقد سمعت رسول الله يقول « من زلّ فليتُب ومن أخطأ فليتُب ولا يتمادى في الهلكة « وأنا أول من اتّعظ .. أستغفر الله مما فعلت وأتوب إليه .. فمثلي نزع وتاب .. فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروا فيّ رأيهم .. فوالله لَئِن ردّني الحق عبداً لأستنَّ بسُنّة العبد ولأذلنَّ ذُلّ العبد ووالله لأُعطينّكم الرضا ولأُنحينَّ مروان وذويه ولا أحتجب عنكم

وبكى عثمان فرقّ الناس وبكوا لكلامه وبكائه

تفرق الناس بعدها واتجه المصريون للعودة لمصر

وأثناء عودتهم فوجئوا برسولٍ في طريقه أيضاً لِمصر ومعه خطاب مختوم من عثمان يوصِي الوالي بعقابهم وقتلهم .. فاستشاطوا غضباً أخذوا الخطاب وعادوا لعليّ الذي انطلق بهم لعثمان وما إن رآهم مروان حتى هرول بعيداً

دخل عليّ على عثمان وقال له : ما هذا ؟؟

فأقسم عثمان بالله ما كتب ولا علم

فعلم عليّ أنه مروان

شاهد عثمان المئات يحاصرون بيته فقال لعليّ : أُخرج إليهم وكلمهم

عليّ : والله ما أنا بفاعل حتى أُدخلَهم وتعتذر إليهم

ودخل وفدٌ منهم فأقسم لهم عثمان أنه لا يعلم شيئاً عن هذا الكتاب

فقالوا : كيف تلي الأمر وعاملك يفعل ذلك وأنت لا تعلم .. إن كنت صادقاً تستحق الخلع لضعفك وغفلتك وخُبث بطانتك .. وإن كنت كاذباً تستحقّ الخلع لِما أردت من سفك دمائنا

عثمان : لِأن تُضرَب عنقي أحبُّ إليّ من أن أنزع قميصاً ألبسنيه الله عزوجل وأترك أُمّة محمد يعدو بعضها على بعض

فثاروا عليْه وعلت أصواتهم وقد أُضيف مطلب جديد وهو أن يعزل مروان بن الحكم ويسلّمه إليهم

خرج المصريون من عنده وحاصروا البيت من الخارج

فقال عثمان لعليّ : يا أبا الحسن إنه قد كان من الناس ما رأيت وكان منّي ما علمت ولست آمنهم على قتلي فاردُدهم عني وأنا أعطيهم الحق منّي ومن غيري وإن كان فيه سفك دمي

عليّ : الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك يا عثمان .. وإني لأرى قوماً لا يرضون إلا بالرضا وقد كنت أعطيتهم عهداً في المرّة الأولى فلم تفِ منه بشيء فلا تغُرّني هذه المرة فإني مُعطيهم عليّك الحق

عثمان : نعم .. فأعطهم فوالله لأوفينّ لهم

فخرج عليّ للناس يقول : أيها الناس .. إنكم إنّما طلبتم الحق فقد أعطيتموه وإن عثمان قد زعم أنه مُنصفكم من نفسه وغيره وراجعٌ عمّا تكرهون فاقبلوا منه

الناس : قد قبلنا فاستوثق منه لنا فإنّا والله لا نرضى بقولٍ دون فعل

عليّ : لكم ذلك

دخل عليّ فطلب منه عثمان أجل يُنفّذ فيه مطالب الناس

فقال عليّ : ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول أمرك

عثمان : نعم لكن أجّلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام

فوافق عليّ وأقنع الناس

وكتب عليّ بينهم عهداً بذلك

(دمّ)

للأسف ما إن عاد عليّ لمنزله حتى التفّ مروان حول عثمان كالثعبان وراجعه فيما فعل وأقنعه أن الناس لابُدّ أن تُعامل بطريقة أخرى حتى لا تتجرّأ عليْه

فقال له عثمان : فاخرج أنت للناس فإنّي أستحي أن أُخاطبهم مرة أخرى

وخرج مروان يُهدّد الناس ويتوعّدهم بأن المدد قادم من الشام

وعلم عليٌّ فغضب غضباً شديداً وقال : أي عباد الله ! أي عباد الله ! يا للمسلمين ! إني إن قعدتُ في بيتي قال لي : تركتني وقرابتي وحقي .. وإن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان فصار سِيقة له يسوقُهُ حيثُ يشاء بعد كِبر السن وصُحبة رسول الله

وانطلق عليّ ثائراً حتى دخل على عثمان وصاح فيه : أما رضيت من مروان هذا ولا رَضِيَ منك إلا بانحرافك عن دينك وعقلك مثل جمل الظّعينة يُقاد حيث يُسار به ؟ .. والله ما مروان بذي رأيٍ في دينِه ولا في نفسِه .. وإيمَ الله إني لأراه يُوردِك ولا يُصدرك .. وما أنا بعائدٍ بعد مقامي هذا لمُعاتبتك ؟؟ أذهبتَ شرفك وغلبتَ على

رأيك .

وخرج عليّ من عنده فتكلمت نائلة زوجة عثمان تلومه : سمعتُ قولَ عليّ أنّهُ لا يُعاودك ؟؟

عثمان : فماذا أصنع ؟

نائلة : تتقِ الله وتتبع سُنّة صاحبيك فإنك متى أطعت مروان قتلك .. ومروان ليس له عند الله قدرٌ ولا محبة .. فأرسل إلى عليّ فاستصلحه فهو لا يُعصَى

فأرسل عثمان إلى عليّ مَن يلحقه لكنه رفض وقال : لقد أعلمته أنّي لن أعود

فوجىء عُثمان بمن يقول أن طلحة بن عبيد الله مع الثائرين

فخرج لهم عثمان ينادي : أفيكم طلحة ؟؟

فلم يرُدّ أحد .. فأعادها ثلاثاً حتى خرج طلحة من بينهم

فقال عثمان مُعاتباً : تسمع ندائي ثلاثاً ولا تجيبني !! .. أُنشدك الله؟؟ ألم يقُل أمامك رسول الله أن عُثمان رفيقي في الجنة ؟؟

فغمغم طلحة : اللهُمّ نعم

قالها وانصرف عائداً لبيته

كان معاوية قد عرض على عثمان في آخر مقابلة بينهما أن ينتقل معه للشام فيُوفّر له الحماية الكاملة لكنه رفض وقال له : لا أبيع جوار رسول الله

فقال له معاوية : لتُغتالنّ

فردّ عثمان : حسبي الله ونعم الوكيل

فلما اشتدّ الحصار بعث عثمان إلى معاوية يقول : بسم الله

الرحمـن الرحيـم أمّـا بعـد فـإن أهـل المدينـة قـد كفـروا وأخلفـوا الطاعـة ونكثـوا البيعـة فابعـث إليّ مـن قِبَلَـك مـن مُقاتـلي أهـل الشـام عـلى كل صعـب وذلـول

وأرسل لابن عامر والي البصرة مثلها

لكنّهـم تباطئـوا في إرسـال المـدد وفي نجدتـه وقـد اسـتمرّ الحِصـار أكـثر مـن أربعـين يومـاً

انضـمّ للمصريـين الثائريـن كل الغاضبـين مـن سياسـات عثـمان مـن المدينـة والبـصرة والكوفـة والكثـير مـن الغوغـاء والمُنحرفـين فـزاد العـدد وأصبـح مـن الصعـب التمييـز بـين الصالـح والطالـح

كالعادة

يثـور المصريـون ضـد الظُلـم فيركـب ثورتهـم اللصـوص والغوغـاء وأصحـاب المصالـح حتـى يُفسـدوها ويُشـوهوها ويقودوهـا إلى طريـق مُختلـف تمامـاً

انفلـت الزمـام .. فمنعـوا عـن عثـمان وأهـل بيتـه المـاء فأرسـل عثـمان لعـليّ وطلحـة والزبـير أن أوصلـوا لنـا المـاء فـكان عـليّ أسرعهـم تلبيـة لإسـتغاثته .. ثـار وحمـل المـاء بنفسـه فمنعـه المتمـرّدون فقـال لهـم: أيهـا النـاس .. إن الـذي تصنعـون لا يُشـبه أمـر المؤمنـين .. ولا أمـر الكافريـن .. فـإن الـرُوم والفُـرس لتـأسِر فتُطعـم وتسـقي .. ومـا تعـرّض لكـم هـذا الرجـل فبِـمَ تسـتحلّون حـصره وقتلـه ؟ !!

قالوا : لا والله لا نتركه يأكل ولا يشرب

لكـنّ عـليّ أراد أن يدخـل عنـوة فاجتمـع النـاس عليْـه وسـقط المـاء فـكان يحـاول بـين الحـين والآخـر فتـارة ينجـح وتـارة يفشـل .. وأمـر

الحسـن والحُسـين وكان معهـم عبـد اللـه بـن الزبـير ومحمـد بـن طلحـة وبعـض أبنـاء الصحابـة أن يتناوبـوا عـلى بـاب عثـمان لحمايتـه
حتـى اشـتعلت الـشرارة يومـاً فاقتحـم المُتمـرّدون بيـت عثـمان وضربـوا مـروان الـذي أفلـت بحياتـه بأعجوبـة ودخلـوا عـلى عثـمان حُجـرة نومـه وهـو يقـرأ في مصحفـه وكان عـلى رأسـهم محمـد بـن أبي بكـر والـذي أمسـك بلِحيـة عثـمان
فقال له عثمان : لقد أمسكت بلِحية كان أبوك يُكرمها
محمد : لو رآك أبي تفعل هذه الأفعال لفعلها
عثمان : أستنصر الله عليّك وأستعين به
فاستحى محمد وتنحّى جانباً مُترددا
لكـن رجـل آخـر يقـال لـه رُومـان دخـل وهويحمـل قضيـب حديـدي بيـده ويقـول لعثـمان : عـلى أي مِلـةٍ أنـت يـا نعثـل ؟
عثـمان : لسـتُ بنعثـل ولكنّـي عثـمان بـن عفـان وأنـا مُسـلمٌ عـلى ملـةِ ابراهيـم حنيفـاً ومـا أنـا مـن المشركـين
رومان : كذبت
قالهـا وضربـه بالقضيـب عـلى صدغـه فانفجـرت نافـورة دم مـن وجهـه تسـاقطت عـلى المصحـف
ثـم انقـضّ عليْـه عمـرو بـن الحمـق وبـرك عـلى صـدره وهـو مـازال بـه الرمـق فطعنـه ٩ طعنـات قائـلاً : ثلاثـة للـه وسـتة لنفـسي
وحاولـت نائلـة الدفـاع عنـه فقطعـوا أصابعهـا بالسـيف وتحرّشـوا بهـا ثـم انقضّـوا عـلى بيـت المـال فكـسروا بابـه .. وانتهبـوه .

(الخلافة بعد عثمان)

عقب مقتل عثمان أصبحت المدينة مَرتعاً للغوغاء واللّصوص الذين التحقوا بالمصريين الثائرين أياماً .. وهرب بنو أُمية إلى مكّة وإلى الشام وعلى رأسهم مروان بن الحكم خوفاً من بطش هؤلاء الغاضبين

وبقي عثمان ثلاثة أيام لا يستطيع أحدٌ دفنه حتى خرج عليّ ومعه طلحة والزبير وبضع من الصحابة للصلاة عليْه ودفنه ليلاً وأراد بعض الغوغاء رجمه ومنعهم من دفنه في مقابر المسلمين لكن عليّ تصدى لهم

واستقرّ المهاجرون والأنصار على عليّ ليكون الخليفة حتى تهدأ المدينة فرغم أن طلحة كان له مريدين من البصرة والزبير كان له مريدين من الكوفة لكن عليّ كان صاحب الشعبية الأكبر والفضل الأعظم .. فالمدينة كلها مُجمعة عليْه بالإضافة إلى المصريين الذين حرّكوا هذه الثورة واستعادوا زمام القيادة والمبادرة بعد قتل عثمان ولا يريدون ترك المدينة إلّا إذا تولّى عليّ الخلافة

فأتوه وقالوا له : إنّه لابُدّ للناس من إمام

فردّ عليّ : لا حاجة لي من أمركم فمن اخترتم رضيت به

فقالوا : ما نختار غيرك

وظلوا يترددون عليْه وهو يرفض وهم يقولون له : إنّا لا نعلم أحداً أحقّ بها منك .. لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله

فيقول عليّ : دعوني والتمسوا غيري .. فإنا مستقبلون أمراً لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليْه العقول

قالوا : نُنشدك الله ؟؟ ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الفتنة ؟ ألا تخاف الله ؟

عليّ : إني أكون لكم وزيراً خيرٌ من أن أكون أميراً

قالوا : والله لن نتركك حتى نبايعك

كان عليّ يعلم تمامًا ماهو مُقدمٌ عليْه فالدولة الإسلامية مهلهلة وقد تحوّلت لجمرة من نار ولن تعود أبداً كسابق عهدها .. فالقبول معناه دخول معركة غير مأمونة بالمرّة لكنه الفارس الذي لم يهرب من معركة قطّ .. يستنجد به الناس ولا يملك إلا أن يُلبّي النداء

فحسم تردده وقال : ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفية

فانطلقوا للمسجد وبايعوه وأتوا بطلحة والزبير ليبايعاه فقال لهم عليّ : إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما

فقالا : بل نبايعك

وفرح المصريون فرحاً شديداً وقد اعتبروا أن ثورتهم نجحت بوصول عليّ للحُكم ولم يعترض أحد من البصريين والكوفيين خصوصاً بعدما

رأوا قادتهم طلحة والزبير بايعا

وفي اليوم التالي للبيعة صعد عليٌّ المنبر وخطب في الناس :

أيها الناس قد افترقنا أمس على أمرٍ وكنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلا أن أكون عليّكم فإن شِئتم قعدت لكم وإلا فلا أحد على أحد فقالوا : نحن على ما فارقناك عليْه بالأمس

فحمد الله وأثنى عليْه ثم قال : إن الله أنزل كتاباً هادياً يُبيّن فيه الخير والشر .. فخذوا بالخير ودَعوا الشر .. إن الله حرّم حُرمات غير مجهولة وفضّل حُرمة المسلم على الحُرمات كلها وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين .. فالمسلم من سَلِم المُسلمون من لسانه ويده إلا بالحق .. لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم إلا بما يجب .. اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم .. أطيعوا الله ولا تعصوه .. وإذا رأيتم الخير فخذوا به .. وإذا رأيتم الشر فدعوه

وامتنع عن البيعة بعض الصحابة ممّن كانوا رجالاً في دولة عثمان وانطلق بعضهم إلى الشام لمعاوية بن ابي سفيان يسلّموه قميص عثمان الذي قُتل فيه

فكان معاوية يُعلّق القميص أمام الناس ليزدادوا غضباً وغيظاً ثم يرفعه

فإذا أحسّ منهم بفتور يقول له عمرو بن العاص ساخراً : حرّك لها حِوارها تحِنّ (الحوار هو صغير الناقة يقصد حرّك لهم ما يُهيّجهم ويجعل عقالهم في يدك أسهل)

فيُعلّق معاوية القميص

وكان عثمان قد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولّى عبدالله بن أبي السرح واستدعاه عثمان للمدينة فتطاول عمرو على عثمان تفاخراً بوالده على والد أبو عثمان فقال له عثمان : دع عنك هذا إنها من أمور الجاهلية

فكان عمرو أكثر الناس سخطاً على عثمان لأنه حرمه من مصر التي كان حلم حياته أن يظلّ حاكمها .. فجعل يؤلّب الناس على عثمان ويقول له في المسجد وهو يخطب : اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أموراً وركبناها معك فتُب إلى الله نتُب

ثم مضى إلى فسطين واستقرّ بها وكان يقول : والله إني لألقى الراعي فأُحرّضه على عثمان

استقبل خبر مقتل عثمان فرحاً وهو يقول : أنا قتلته .. أنا قتلته

ثم استطرد : إن يلِ الأمر طلحة فهو فتى العرب .. وإن يلِهِ عليّ بن أبي طالب فهو أكرهُ ما يكون إليّ

ولما بلغه بيعة عليّ قرر الذهاب لمعاوية بعدما علم أنه لم يبُايع عليّ واتفق مع معاوية على أن يكون معه ضدّ عليّ مقابل عودته والياً على مصر

أما السيدة عائشة فكانت في الحجّ أثناء حصار عثمان وأثناء عودتها للمدينة لقيها أحد أخوالها قائلاً : قُتل عثمان

فقالت : وماذا صنعوا ؟؟

قال : اجتمعوا على بيعة عليّ

فقالت وهي تُشير للسماء والأرض : ليت هذه انطبقت على هذه إن تمّ هذا الأمر له

ثم استطردت : قُتل والله عثمان مظلوماً .. والله لأطالبنّ بدمه
فقال لها : والله إن أول من أمال حَرفَهُ لأنتِ .. أما كنتِ تقولين على عثمان اقتلوا نعثلاً فقد كفر ؟؟
قالت : إنهم استتابوه ثم قتلوه .. وقد قلت وقالوا .. وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأول .. رُدّوني رُدّوني إلى مكة
لم تكن عائشة تُحب عليّ بن أبي طالب ولم تنسى له حين استشاره النبي أثناء حادثة الإفك وقت ما خاض الناس في عرضها بالباطل
فقال له عليّ: يا رسول الله .. إن النساء لكثير وإنك لقادرٌ على أن تستخلف
في هذا الوقت كان طلحة والزبير يطلبان من عليّ ولايتي البصرة والكوفة فرفض عليّ وفعل كما كان يفعل عمر فحبسهما في المدينة إلا انه لم يعنفهما تعنيف عمر لمن يطلب منه الخروج من المدينة
فقال لهما : أُحب أن تكونا معي أتجمّل بكما .. فإني أستوحش فراقكما
فسكتا على مضض وبدأا يُدبرّان أمرهما .

(الغدرة)

استأنف عليّ سريعاً سياسات عمر من حيث انتهت فأعلن تطبيق مبادئ الإسلام من ترسيخ للعدل والمساواة بين الجميع بلا تفضيل ولا تمييز وصرّح بأنه سيسترجع كل الأموال والإمتيازات التي اقتطعها المُقرّبون من عثمان

لم يكن يريد الخلافة لكنها وما إن صارت في رقبته فلن يهدأ حتى يعيدها كما كانت

وبدأت تظهر نغمة القصاص لعثمان فجاءه مجموعة من الصحابة على رأسهم طلحة والزبير يطالبون بالقصاص من قتلة عثمان

فقال لهم عليّ : يا إخوتي إنّي لستُ أجهل ما تعلمون ولكنّي كيف أصنع بقومٍ يملكوننا ولا نملكهم ؟؟ هاهم ثارت معهم عبدانكم وأعرابكم فهل ترون موضعاً لقدرةٍ على شيء مما تقولون ؟

قالوا : لا

عليّ : فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله .. إنّ هذا الأمر أمر جاهلية والناس فيه ثلاث : فرقةٌ ترى ما ترون .. وفرقةٌ ترى مالا ترون .. وفرقةٌ لا ترى هذا ولا هذا .. فلننتظر حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتُؤخذ الحقوق

قالوا : نعم

كان يريد التمهّل ليستتبّ الأمر له حتى يستطيع الوصول للجُناة الحقيقيين فيقتص منهم ويحقق العدالة الكاملة دون الوقوع في براثن فوضى .. وقد فتح تحقيقا مبدئياً مع محمد ابن أبي بكر أحد المتهمين بقتل عثمان لكنه أنكر وقد وأقرّت كلامه نائلة زوجة عثمان فالموضوع يحتاج لتحقيق واسع بيد سُلطة قوية لا يملكها حتى الآن

وأول خطوة يستعيد بها السلطة هي عزل الوُلاة الظالمين الذين عينهم عثمان وكانوا سبباً للثورة عليْه

فهذا الأمر لا يحتاج لتحقيق ولا انتظار فهو أول مطالب الثورة التي قامت ضدّ عثمان .. لم يكن ضميره ليسمح له بقبول الإبقاء عليّهم ليلة واحدة ولو على سبيل المهادنة فلطالما انتقد سياساتهم وأنكرها عليّهم ولم يكن بالذي يطالب بعزلهم أمس ثم يبقيهم اليوم مهما كانت العواقب

جاءه المُغيرة بن شعبة يقول له : إن لك حق الطاعة والنصيحة .. أقرر معاوية وابن عامر وعُمّال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس .. ثم اعزل من شئت

عليّ : لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيّة في أمري

المغيرة : فإن كنت تأبَى فانزع من شئت واترك معاوية فإن في معاوية جُرأة ..وهو في أهل الشام يستمعون منه

عليّ : لا والله .. لا أستعمل معاوية يومين

وكان عنده عبد الله بن عباس فقال له : وأنا أشير عليّك أن تثبت

معاوية .. فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله فإن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى تثبّتهم لا يبالوا من وليَ هذا الأمر .. وإن تعزلهم يقولوا : أُخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل عثمان ويؤلبون عليّك فتنتقضّ عليّك الشام والعراق

عليّ : والله لا أُعطيه إلاّ السيف

ابن عباس : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لكنك لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله يقول : الحرب خدعة ؟

عليّ : بلى

ابن عباس : أما والله لئن أطعتني لأتركنّهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليّك ولا إثم لك

عليّ : يا ابن عباس لست من هنّاتك ولا من هنّات معاوية في شيء.. وإذا أردت أن تطيعني فلتسِر إلى الشام فقد وليتكها

ابن عباس : ما هذا برأي .. معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان .. وإن أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم عليّ لقرابتي منك ، وإن كل ما حمل عليّك حمل عليّ ، ولكن اكتب إلى معاوية فمنِّه وعِدهُ حتى تملكه

فقال عليّ بحسم : لا والله .. ما كان هذا أبداً

كان عليّ رجلاً مستقيماً بمعنى الكلمة لم يعرف المراوغة ولا الإلتفاف طيلة حياته فقد تشرّب الإسلام نقيّاً بمُجرّد نزوله من السماء وتربى على يد أشرف الخلق وأعظم .. عاش طيلة حياته ينتصر بالصراحة والوضوح والخير ويكره الخُبث والمكر والشرّ

وأثناء تحضيره للعُمّال الجُدُد لإرسالهم إلى الإمارات فوجىء بأن معاوية يرسل له رسولاً برسالة يطالبه فيها بدم عثمان

فقال بدهشة : أمِنّي يطلبون دم عثمان ؟؟

فهم لعبة معاوية وأيقن أنه لن يترك السلطة ويتخذ من دم عثمان ذريعة لذلك فبدأ يستعد بجيشه لملاقاة معاوية عقب إرساله عمال لباقي الإمارات

واستغل طلحة والزُبير هذه اللحظة المضطربة في أن يستئذناه في الذهاب لمكّة لعمل العُمرة

فأذن لهما وهو يغمغم في نفسه بمرارة : ما تريدان العُمرة وإنّما تريدان الغدرة

انطلق طلحة والزبير إلى مكة التي كانت معقل لكل كارهي عليّ وكل فلول بني أمية الذين هربوا من المدينة عقب مقتل عثمان واجتمعا مع مروان بن الحكم وعبد الله بن عامر في بيت عائشة واقترحت عائشة الذهاب إلى المدينة وفرض أمر واقع على عليّ لكنهم استبعدوا ذلك خوفاً من الأعراب والغوغاء في المدينة وحتى أهل المدينة سيلفظونهم خصوصاً بعدما بايعوا عليّ فأقنعهم بن عامر أن يذهبوا للبصرة فله فيها رجال ينضمّون لهم ويكونون عوناً لمعاوية في الشام ضد عليّ

وتكفّل بن عامر بتمويل مسيرتهم من مؤن وفرس ونادى منادٍ في مكة : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن كان يريد إعزاز الإسلام وقتال المُحلِّين والطلب بثأر عثمان ولم يكن معه نفقة فعندنا نفقته

فأقبل عليّهم بضع مئات يريدون الخروج ولا يملكون فجهّزهم بن عامر فكانوا جميعاً ثلاثة آلاف خرجوا من مكة على رأسهم عائشة وطلحة والزبير

وبينما عليّ يستعد لملاقاة معاوية أتاه خبر خروج هؤلاء الثلاثة بجيش عليْه وقصدهم البصرة فخرج عليّ بجيشه يريد اللّحاق بهم في الربذة لتحجيم الأمر لكنه وصل وقد تركوها فلم يلحقهم فلم يكن هناك مفرّ من ملاقاتهم في البصرة .

(انقسامات وأطماع)

توقّف جيش عائشة وطلحة والزُبير في طريقهم للبصرة فجاء مروان بن الحكم يقف بين طلحة والزبير ويقول : على أيّكما أُسلّم بالإمارة وأؤذّن بالصلاة ؟؟

فقال عبد الله بن الزبير : على أبي

وقال محمد بن طلحة : على أبي

فأرسلت عائشة إلى مروان وقالت له : أتُريد أن تفرّق أمرنا

ليُصلّ بالناس ابن أختي عبد الله بن الزبير

فيغمغم أحد أنصارهم : والله لو ظفرنا لاقتتلنا .. ماكان الزُبير ليترك طلحة والأمر وما كان طلحة ليترك الزُبير والأمر

الغريب في الأمر أن مروان وبن عامر وغيرهما من بني أمية كانوا يعلمون تماماً أن عائشة والزبير وطلحة كانوا من أشد المُحرّضين على الثورة ضد عثمان لكنهم تجاهلوا ذلك تماماً لاستغلالهم في القضاء على عليّ واستعادة المُلك الضائع فهم أهم رموز المسلمين وقتها حتى أن سعيد بن العاص يقول لمروان بن الحكم وأصحابه : أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم ؟ (يعني

عائشة وطلحة الزبير) اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم
فقالوا : نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً
أما عليّ فبعدما فشل في اللّحاق بهم في الربذة وقف في الناس يقول لهم بعدما حمد الله وأثنى عليْه : إن آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلُح به أوّله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم أمركم وانطلق متوجهاً للبصرة مع من اجتمعوا على نصرته
في الطريق يأتيه ابنه الحسن ويقول له: لقد أمرتك فعصيتني فتُقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك
فقال له عليّ : إنك لا تزال تخِنّ خنين الجارية (بمعنى تندب وتنوح كالجارية) .. وما الذي أمرتني فيه فعصيتك ؟
الحسن : أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيُقتل ولست بها فأبيت .. ثم أمرتك يوم قُتل أن لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك فأبيت .. وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان (يقصد عائشة وطلحة والزبير) أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يد غيرك .. فعصيتني في ذلك كله
عليّ : أي بني .. أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان .. فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به .. وأما قولك لا تبايع حتى يبايع أهل الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر .. ولقد مات رسول الله صلى الله عليْه وسلم وما أرى أحداً أحقّ بهذا الأمر منّي .. فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته .. ثم إن أبا بكر انتقل إلى رحمة الله وما أرى أحداً أحقّ

بهـذا الأمـر منـي .. فبايـع النـاس عُمـر فبايعتـه .. ثـم إن عمـر انتقـل إلى رحمـة اللـه ومـا أرى أحـداً أحـق بهـذا الأمـر منـي فجعلنـي سـهماً مـن سـتة أسـهم .. فبايـع النـاس عُثـمان فبايعتـه .. ثـم سـار النـاس إلى عثـمان فقتلـوه وبايعـوني طائعـين غـير مُكرَهـين .. فأنـا مُقاتـل مـن خالفنـي بمـن أطاعنـي حتـى يحكـم اللـه .. وهـو خـير الحاكمـين .. وأمـا قولـك أن أجلـس في بيتـي حـين خـرج طلحـة والزبـير .. فكيـف لي بمـا قـد لزمنـي .. أوَ مَـن تريـدني ؟ أتريـدني أن أكـون كالضبـع التـي يُحـاط بهـا ويقـال ليسـت هاهنـا حتـى يحـلّ عرقوباهـا حتـى تخـرج !! وإذا لم أنظـر فيـما يلزمنـي مـن هـذا الأمـر ويعنينـي فمـن ينظـر فيـه ؟ .. فكـفّ عنـك يـا بُنـيّ

وصـل جيـش عائشـة وطلحـة والزبـير للبـصرة التـي كانـت قـد بايعـت عـليّ ففوجـىء أهـل البـصرة بهـم يدخلـون عليّهـم يطالبـون بـدم عثمان وبرجـوع الأمـر شـورى بـين المسـلمين فاجتمـع النـاس حـول الثلاثـة يقولون لطلحة والزبير : أما كنتم تعارضون عثمان ؟؟

فيقـولا : إنمـا أردنـا ان نسـتعتب أمـير المؤمنـين عثـمان فغلـب السُـفهاء الحُلـماء فقتلـوه

نظروا لطلحة وقالوا له : ما كانت رسائلكم لنا تقول هذا !!

لم يرد طلحة فردّ الزبير : هل جاءتكم مني رسالة في شأنه ؟؟

ثم بدأ يذكر قتل عثمان ويعيب عليّ

فقاطعه أحدهم قائلاً : أيها الرجل اسكت حتى نتكلم

ثـم اسـتطرد : يـا معـشر المهاجريـن أنتـم أول مـن أجـاب رسـول اللـه فلـما تـوفّى بايعتـم رجـلاً منكـم فرضينـا وسـلّمنا ولم تسـتأمرونا في شيء..

ثـم مـات واسـتخلفتم رجـلاً ولم تسـتأمرونا في شيء .. وجعـل أمركـم في سـتة قبـل أن يتـوفى واخترتـم منهـم رجـلاً ولم تسـتأمرونا في شيء حتـى قتلتمـوه ثـم بايعتـم عـليّ مـن غـير مشـورتنا فـما الـذي نقمتـم عليْـه فنقاتلـه ؟؟

هـل اسـتأثر بفـيء ؟؟ هـل عمـل بغـير الحـق ؟؟ هـل أتى شيء تُنكرونـه فنكـون معكـم عليْـه ؟؟ وإلاّ فـما هـذا ؟

ثم يقول آخر : أما بايعتم عليّ ؟؟

طلحة والزبير : بايعنا والسيف على أعناقنا

فانقسـم النـاس في البـصرة مـا بـين مؤيـد لهـم ومعـارض مجموعـة تقـول لهـم : صدقـاً وتكلـما بالحـق

وأخرى تقول : كذباً ونطقا بغير الحق

ثـم جـيء بعائشـة عـلى جملهـا فخطبـت في النـاس : غضبنـا لكـم مـن سـوط عثـمان وعصـاه أفـلا نغضـب لعثـمان مـن السـيف ؟ ألا وإن خليفتكـم قـد قتـل مظلومـاً .. أنكرنـا عليْـه أشـياء وعاتبنـاه فيهـا فأعتـب وتـاب إلى اللـه ومـا يطلـب مـن المسـلم إن أخطـأ أكـثر مـن أن يتـوب إلى اللـه ويعتـب النـاس .. ولكـن أعـداءه سـطوا عليْـه فقتلـوه ولم تكـد تتـمّ حديثهـا حتـى ارتفعـت الاصـوات بـين المؤيديـن لهـا والمعارضـين وجعلـوا يتسـابّون ويتضاربـون .. اقتتلـوا عـلى أبـواب البـصرة وسـقط الضحايـا والمُصابـون مـن الطرفـين حتـى تدخـل الحُكـماء واتفقـوا عـلى هُدنـة وصلـح عـلى أن يبـقَ الفريقـان في الولايـة ويبقـى عليّهـا الـوالي عثـمان بـن حنيـف والـذي كان عيّنـه عُـليّ

إلا أن مجموعـة مـن جيـش طلحـة والزبـير اجتمعـوا واتفقـوا أنهـم

لـو تركوهـم هكـذا حتـى يـأتِ عـليّ فسيسـحقهم .. فنقضـوا الهُدنـة وانقضّـوا عـلى عثـمان بـن حنيـف وهـو يصـلي بالنـاس وخطفـوه وحبسـوه ونتفـوا لحيتـه وقتلـوا مجموعـة مـن رجالـه واحتلـوا بيـت المـال .. فغضـب أهـل البـصرة مـن هـذا الغـدر وخرجـوا يترقبـون وصول عـليّ وتضاعـف الانقسـام والغضـب في البـصرة

كل هـذا وطلحـة والزبـير يختلفـان فيمـن يصـلي بالنـاس ثـم يتفقـا أن يُصـلي كل واحـد منهـما يومـاً

وعائشة تتوتر مع كثرة الدماء والضحايا وتقول : أعيدوني

فيـأتي عبـد اللـه بـن الزبـير ليقنعهـا بـأن تكمـل مـا جائـت مـن أجلـه فتسـتمرّ عـلى مضـض

انقسـامات وأطـماع تظهـر عـلى اسـتحياء وضمائـر مرعوبـة مـن سـوء الخاتمـة .

(في البصرة)

في البصرة سادت حالة من الإضطراب والترقُّب عقب انقسام أهل البصرة إلى ثلاثة فرق :
الفرقة الأولى اعتزلت الأمر تماماً وأغلقوا بيوتهم على أنفسهم ترقبّاً لما سيحدث وتحفظّاً على المشاركة في صراع لا يفهمون أوّلَه من آخرِه
والثانية تنتظر عليّ بن أبي طالب .. هذا الإمام الزاهد والفارس النبيل .. ربيب النبي وأحبّ الناس إليه ووليّ المؤمنين ويرون أن نُصرته واتباعه هو الطريق الوحيد لتحقيق مبادىء الاسلام من حرية ومساواة وعدالة اجتماعية وأنّه الأمل الأخير في عدل كفة ميزان الحق المائلة من بعد رحيل عمر
والثالثة انضمّت لجيش عائشة وطلحة والزُبير واستعدّت للدفاع عنهم باستماتة خصوصاً بعدما اختصّوهم دون غيرهم بعطايا من بيت المال الذي استولى عليْه هذا الجيش .. جيشٌ يرفع شعارات ظاهرها القصاص وباطنها الهدم .. جيشٌ يقوده ظاهراً أهم ثلاثة رموز في الدولة الإسلامية وقتها بعد آل البيت وباطناً يقوده كل الوجوه البغيضة التي استغلّت ضعف عثمان في استعباد الناس وظُلمهم .. جيشٌ على رأسه هذا المروان بن الحكم الذي تسبّب

بحماقته وحقده في كل هذه الكوارث وقاد عثمان لمصرعه ويريد الآن استعادة سُلطاته الضائعة المسلوبة ومعه فلول بني أمية .. جيشٌ يقوده فعليّاً عصابة اتخذت من الإسلام مطيّة للوثوب على السلطة واستعادة النفوذ القديم الذي قضى عليْه النبي محمد.. هذه العصابة التي تحيّنت الفرصة المناسبة عقب موت عمر لتنقضّ على الخلافة الراشدة وتنهش دولة العدل نهشاً .. عصابة كالأفاعي والثعابين تفادوا ضربة الثورة ثم التفّوا عليّها ليلدغوها بكل شراسة .. لن تقبل العصابة هذا الإمام الشريف الأبيّ الذي يحمل للناس الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ولن تسمح له أن يستقرّ في السلطة ويطبّق أفكاره ومبادءَه التي تُعرّض كل مصالحهم للخطر

أما عليّ .. فلما بلغه ما حدث في البصرة من اشتباكات وسفك دماء وتحريض عليْه رفع يديه للسماء قائلاً : اللهُم عافني ممّا ابتليت به طلحة والزبير

جاءه المدد من الكوفة فوقف يخطُب في الناس :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين .. أما بعد فإن الله بعث مُحمداً إلى الثقلين كافّة والناس في اختلافٍ والعرب بشرّ المنازل مستضعفون لِما بهم .. فأصلح الله به الفساد ولأم به الصدع ورتق به الفتق وأمّن به السبيل وحقن به الدماء وقطع به العداوة المُوغرة للقلوب والضغائن المشحنة للصدور .. ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه مرضيّاً عمله مغفوراً ذنبه كريماً عند الله نُزُله .. فيا لها من مُصيبة عمّت المُسلمين وخصّت الأقربين .. وولي أبا بكر فسار فينا بسيرة رضا رضي بها المسلمون .. ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما .. ثم ولي عثمان فنال منكم ونِلتم منه ثم كان من أمره ما كان فأتيتموه

فقتلتموه .. ثم أتيتموني فقُلتم : لو بايعتنا ! .. فقلتُ : لا أفعل .. وقبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم كفِّي فجذبتموها وقلتم : لا نرضى إلا بِك ولا نجتمع إلا عليّك .. وتداككتم عليّ تداكك الإبل الهِيم على حياضها (يعني تدافعتم تدافع الإبل العطشى عطشاً شديداً على أحواض المياه) يوم ورودها .. حتى ظننت أنكم قاتليّ وأن بعضكم قاتل بعضاً .. فبايعتموني .. وبايعني طلحة والزبير ثم ما لبثا أن استأذناني إلى العمرة فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين وفعلا بها الأفاعيل وهما يعلمان والله أني لست بدون من مضى (يعني يعلمان أني لستُ أقل من أبا بكر وعمر) .. ولو أشاء أن أقول لقلت : اللّهم إنهما قطعا قرابتي ونكثا بيعتي وألّبا عليّ عدوّي اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما .. وأرهما المساءة فيما عملا فالزموا دينكم واهتدوا بهديي فإنه هدي نبيكم واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليّكم حتى تعرضوه على القرآن فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكره فرُدّوه وارضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً ومحمد نبياً وبالقرآن حكماً وإماماً

وانهضوا إلينا .. فالإصلاح نريد لتعود هذه الأمة إخواناً

فقام رجل يقول : يا أمير المؤمنين أي شيء تُريد وأين تذهب بنا؟

عليّ : أما الذي نريد وننوي فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه

الرجل : فإن لم يجيبونا إليه ؟

عليّ : ندعهم بعُذرهم ونُعطيهم الحق ونصبر

الرجل : فإن لم يرضوا ؟

عليّ : ندعهم ما تركونا

الرجل : فإن لم يتركونا؟

عليّ : دفعناهم عن أنفسنا

وقام رجل آخر يقول : أترى لهؤلاء القوم حُجّة فيما طلبوا من

هـذا الـدم

فعليّ : نعم إن كانوا أرادوا الله عزوجل بذلك

الرجل : أترى لك حُجّة بتأخير ذلك ؟

عـليّ : نعـم إنّ الـشيء إذا كان لا يُـدرَك فـإن الحُكـم فيـه أحوطـه وأعمّـه نفعاً

قال : فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً

عـليّ : إني لأرجـو ألاّ يُقتـل منّـا ومنهـم أحـد نقّـى قلبـه اللـه إلا أدخلـه اللـه الجنـة

وقبـل انطلاقـه بالجيـش ختـم حديثـه قائـلاً : ولا يرتحـل معـي أحـد ممـن أعـان عـلى عثـمان بـشيء مـن الأمـور

كان مـازال في جيشـه بعـض الأعـراب الذيـن اسـتغلوا ثـورة المصريـين عـلى عثـمان فانتهكـوا حرمتـه وقتلـوه وانتهبـوا بيـت المـال لكنهـم غـير معروفـين بالإسـم فهـم عـشرات يندسـون وسـط آلاف ممـن خرجـوا مـع عـليّ .. كانـوا يظنـون أن تمهّـل عـليّ في التحقيـق في جريمـة قتـل عثـمان تواطـؤ ضمنـي معهـم لكنهـم الآن أيقنـوا أنـه سيحاسـبهم لا محالـة إن عاجـلاً أو آجـلاً .

وانطلق عليّ حتى وصل للبصرة .. والتقى الجيشان .

(معركة الجمل)

التقى الجيشان على حدود البصرة ووقف عليّ يقول لأنصاره : لا تبدأوا القوم بقتال .. وإذا قاتلتموهم فلا تُجهزوا على جريح.. وإذا هزمتموهم فلا تتَّبعوا مُدبراً .. ولا تكشفوا عورة ولا تمثِّلوا بقتيل .. وإذا وصلتم إلى رِحال القوم فلا تهتكوا سِتراً ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً .. ولا تهيجوا امرأةً بأذى وإن شتمن أعراضكم وسَبَبنَ أمراءكم وصلحاءكم

كانت الحرب هي آخر خياراته التي لا يريدها .. كان كارهاً لمجرد طرح فكرة أن يحارب جيشاً من المسلمين فيه زوجة النبي ورفيقا عمره حتى ولو كانوا يُحرّضون عليْه ويريدون الفتك به .. ولكن ماذا يفعل معهم ليتجنب هذه المأساه

هل كان عليْه أن يعطي الزبير ولاية الكوفة وطلحة ولاية البصرة حتى يتجنب هذه الوقفة !!

لم يكن يوما بالرجل الذي يقبل المساومات والمواءمات .. لم يكن يقبل بغير طريق الحق الصريح بديلا .. مهما كان الثمن

هم أكثر أهل الأرض عِلماً بفضله وحقه ومنزلته فأي شيء أوضح من ذلك !!

هـا هـو يقـف وعـلى يمينـه عـمار بـن يـاسر الـذي قـال لـه النبـي : تقتلـك الفئـة الباغيـة

عـمار التقـيّ الـذي سـمع أحـد جنـوده يسُـبّ عائشـة فصـاح فيـه : اسـكت مقبوحـاً منبوحـاً .. واللـه إنهـا لزوجـة رسـول اللـه في الدنيـا والاخـرة ولكـن اللـه ابتلاكـم بهـا لينظـر أتتبعونـه أو إياهـا ؟

هـذا هـو عـليّ وهـؤلاء هـم رفاقـه الذيـن يسـيرون عـلى طريقـه بمبادئـه ونبلـه وأخلاقه

تقـدم عـليّ عـلى فرسـه في وسـط أرض المعركـة ينـادي : يـا زبـير .. يـا طلحـة .. أخرجـا لي أكلمكـما

فخرج الزُبير ومعه طلحة ووقفا في مواجهته

فقـال عـليّ : لعمـري قـد أعددتُمـا سـلاحاً وخيـلاً ورجـالاً إن كنتـما أعددتما عنـد اللـه عُـذراً .. فاتَّقيـا اللـه .. ولا تكونـا كالتـي نَقَضَـتْ غزلها مِـن بَعْـدِ قُـوَّةٍ أنكاثـاً

سـكت قليـلاً ثـم اسـتطرد بمـرارة : ألم أكـن أخاكـما في دينكـما تُحرِّمـان دمـي وأُحـرِّم دمكـما ؟؟ .. فهـل مـن حـدثٍ أحـلَّ لكـما دمـي ؟؟

طلحة : ألَّبت على عُثمان

عـليّ مُندهشـاً : يَوْمَئِـذٍ يُوَفِّيهـم اللـهُ دِينَهُـمُ الحَـقّ .. أنـت تطلـب دم عُثـمان يـا طلحـة ؟؟ ..لعـن اللـه قتلـة عُثـمان

ثـم اسـتطرد بمـرارة : يـا طلحـة .. أجئـت بِعُـرس رسـول اللـه صـلى اللـه عليْـه وسـلم تقاتـل بهـا وخبَّـأتَ عُرسـك في البيـت !!! .. أمـا بايعتنـي يـا طلحـة ؟!!

غمغم طلحة : بايعتك والسيف على عُنقي !!

التفت عليّ للزبير وقال : وأنت يا زبير .. ما أخرجك ؟ قد كنَّا نعدُّك من بني عبدالمطَّلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرَّق بيننا

لم يرد الزبير فتابع عليّ : أتذكر يا زبير يوم مررت على رسول الله وأنت معه ، فنظر إليَّ ، فضحك ، وضحكت إليه

فقلتَ أنت له : لا يدعُ ابن أبي طالب زهوه

فغضب النبي وقال لك : عليّ ليس به زهو .. ولتقاتلنَّه وأنت له ظالم

تذكر الزبير هذا المشهد وقال : اللَّهمَّ نعم

عليّ : فارجع يا زبير

الزبير : أرجع الآن وقد التقت حلقتا البطنين ؟؟ هذا والله العار الذي لا يُغسَل !!

عليّ : يا زُبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العارَ والنار

ثم التفت لطلحة وقال له : يا طلحة أما سمعت النبي يقول عليَّ : اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه .. أما كنت أول من بايعتني ثم نكثت بيعتك !!

قالها عليّ وتركهم عائدا لأنصاره .. فقد قال كل شيء

أما طلحة والزبير فقد عادا لجيشهما وقد دارت رؤوسهما بعتاب عليّ وكلماته الموجعة ..ليته ضربهما بسيفه ولم يكن قال ما قاله حتى أن الزبير غمغم : لو ذكرت ما سِرتُ مسيري هذا .. والله لا أُقاتلك أبداً

ثم اتجه إلى عائشة وقال لها : ما كنتُ في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري .. غير موطني هذا

عائشة : فما تريد أن تصنع ؟

الزبير : تذكرت قولاً لرسول الله وأُريد أن أدعهم وأذهب

قال له ابنه عبدالله بعصبية : لا والله .. لكنَّك خشيت رايات ابن أبي طالب .. وعلمت أنَّها تحملها فتيةٌ أنجاد وأنَّ تحتها الموت الأحمر .. فجبنت!!

فغضب الزبير وقال : إنِّي أقسمتُ ألا أُقاتله

عبد الله : كفِّر عن يمينك وقاتله

ظل ابنه يراجعه حتى أقنعه بالمكوث معه .. فما أغرب هذه النفوس البشرية وأعقدها !!

كانت الأمور تسير باتجاه صلح أو على الأقل اتفاق خصوصاً بعدما فتر حماس القادة طلحة والزبير حتى حدث اشتباك ليلاً بين مجموعة افراد من الجيشين فبمجرد طلوع النهار انطلقت الحرب وقد أتى جيش طلحة والزبير بالسيدة عائشة في هودجها في قلب المعركة كأنها رايتهم

واشتعلت المعركة .. والجيشان يصيحان صيحة واحدة

لا إله إلا الله .. الله اكبر

وينسحب الزبير بن العوام من المعركة ويخرج من البصرة وينزوي طلحة بن عبيد الله .. أما الزبير فتبعه عمور بن جرموز أحد أفراد جيش عليّ فقتله غدراً .. وطلحة رماه مروان بن الحكم بسهم عندما رآه ينزوي وينسحب فقتله قائلاً : أخذت ثأري هذا ممّن أعان على عثمان

كانت أغرب معركة يخوضها المسلمون

فالدماء تسيل والرقاب تقطع والجميع يصيح : الله أكبر
وانهـزم جيـش طلحـة والزبـير .. وعائشـة التـي تـرى السـهام والنبـال تسـقط عـلى هودجهـا تصيـح : البقيـة البقيـة يـا بنـي .. اللـه اللـه .. اذكـروا اللـه والحسـاب
لكن متى كانت التحذيرات مُجدية بعد اشتعال الحريق !!
تصيح عائشة : اللهم العن قتلة عثمان
ويردّد معها من حولها فيسمع عليّ الضجة فيقول : ما هذا ؟؟
فيقولون له : أم المؤمنين تدعوا على قتلة عثمان
فيردد عليّ : اللهم العن قتلة عثمان
لكـن المعركـة ازدادت اشـتعالاً حتـى زاد الهجـوم بالسـهام عـلى هـودج عائشـة فصـار كالقنفـد مـن كـثرة السـهام وبـدأ الجيشـان يتقاتـلان عليْـه ويسـقط الضحايـا بالعـشرات فـلا تسـتطيع التمييـز فيهـم بـين مـن يدافـع عنـه ومـن يهجـم عليْـه
حتى صاح عليّ فيهم : اعقروا الجمل .. فإنه إن عُقر تفرّقوا
فضربه رجل بسيفه .. فسقط الجمل
والتقط محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر الهودج ووضعوه
وهو كالقنفد لما فيه من السهام
وانتصر جيش عليّ وفرّ بنو أمية
فنـادى عـليّ : لا تتبعـوا مُدبـراً ولا تُجهـزوا عـلى جريـح ولا تدخلـوا الـدور
وذهب عليّ لعائشة التي قالت له : ملكت فاعفو
عليّ : يغفر الله لك

وظلّت تقول بعدها : والله وددتُ لو متُ قبل هذا بعشرين عاماً انتصر عليّ لكنه حزن أشد الحزن وأقساه على كل هذا الدم .

(الثائر والتاجر)

لم يمُـرّ يومـاً عـلى المسـلمين قبلهـا أبشـع وأغـرب وأشـنع مـن يـوم معركـة الجمـل

كانـت مأسـاه بـكل المقاييـس .. خلفـت عـشرة آلاف قتيـل نصفهـم مـن جيـش عـليّ والنصـف الآخـر مـن جيـش عائشـة .. ومنهـم الكثـير مـن أصحـاب النبـي

كان عـليّ أعظـم المنتصريـن حُزنـاً فـكان يقـول : لـو علمـت أنّ الأمـر سـيبلغ بنـا مـا بلـغ لمـا دخلـت فيـه

وكانـت عائشـة أشـدّ المغلوبـين حـسرة وأعظمهـم ندمـاً فكانـت تتلـو قـول اللـه تعـالى (وقـرنَ في بيوتكـن) ثـم تبـكي حتـى يبتـلّ خِمارهـا وكانـت تقـول وددت لـو مـتُّ قبـل هـذا بعشريـن عامـاً

يمُـرّ عـليّ بـين القتـلى حزينـاً فيتوجـع عـلى أنصـاره وعـلى خصومـه .. يجـد طلحـة وهـو صريـع فيُجلسـه ويمسـح الـتراب عـلى وجهـه ويقـول : لهفِـي عليـك يـا أبـا مُحمـد .. إنـا للـه وإنـا إليـه راجعـون

وقف للصلاة على جميع القتلى وأمر بدفنهم جميعاً في مكانٍ واحد

ثـم دخـل البـصرة وسـار فيهـم سـيرة الرجـل الكريـم الـذي يقـدر فيعفـو ويملُـك فيعطـي .. فلـم يتتبّـع بنـي أميـة الذيـن فـرّوا خـارج البـصرة

وقد علم أماكنهم .. لكنه من البداية لم يكن يريد شرّاً بأحد .. ودخل بيت المال فأمر بتقسيم المال على الجميع سواءً .. مَن أيّده ومَن قاتله

فغضب بعض شيعته وسخطوا عليْه فقد كانوا يظنُّون أنه سيبيح لهم أموال القوم وقالوا : أحلّ لنا دماءهم وحرّم عليّنا أموالهم

ثم ذهب إلى عائشة وكانت في دار عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة فوجد النساء يبكِين على عبد الله وعثمان ابني خلف وكان عبد الله قُتل مع عائشة وعُثمان قتل مع عليّ .. وقابلته صفية زوجة عبد الله تبكي وتنوح : يا عليّ .. يا قاتل الأحبة .. يا مُفرّق الجمع .. أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولدي من عبد الله

فلم يرد عليّها شيئاً

ودخل على عائشة يقول : جبهتنا صفية .. أما إني لم أرها منذ كانت جارية

وأخبرها أنه جهّز لها رحلتها من ركب ومتاع للعودة للمدينة مع أخوها محمد بن أبي بكر وكل من جاء معها ويريد العودة

وخرج من عندها وصفية تصيح فيه بنفس الكلام

فقال له رجلٌ من أنصاره : والله لا تغلبنا هذه المرأة

فغضب عليّ وقال : مهٍ .. لا تهتكون ستراً ولا تدخلون داراً .. لا تهيجون امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسفهن أُمراءكم وصُلحاءكم .. فإنّ النساء ضعيفات ولقد كنا نؤمر بالكفّ عنهن وهُنّ مشركات فكيف إذا هُنّ مُسلمات .. فلا يبلغني أن أحداً تعرّض لإمرأة بسوء حتى

أُنـزل بـه أشـدّ العُقوبـة حتـى لـو أذتكـم وشـتمت أُمراءكـم
وقد سُئل عليّ بعدها عن من قاتلوه يوم الجمل : أمشركون هم ؟
عليّ : مِن الشرك فرّوا
يسألوه : فمنافقون هم ؟
عليّ : إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً
يسألوه : فما هم ؟
عليّ : إخواننا بغوا عليّنا
وعـادت عائشـة للمدينـة وظلّـت بعدهـا تقـول : واللـه لقعـودي يـوم الجمـل كان أحـبُّ إليّ مـن أن يكـون لي عـشرة أبنـاء مـن رسـول اللـه ثـم بـدأ عـليّ يلتفـت لمعاويـة .. هـذا الخصـم الـذي لطالمـا حـارب الإسـلام والمسـلمين وكاد لهـم .. وكان أبـوه خصـماً شرسـاً للنبـي يسـعى للقضـاء عليْـه ولم يُسـلما إلا في اللحظـات الأخـيرة حينـما أيقنـا أنـه لا نجـاة لهـما إلا بالإسـلام .. وأمـه التـي لم تكـن بأقـل مـن أبيـه بُغضـاً للمُسـلمين وكراهيـة لهـم وقسـوةً عليّهـم .. خطّطـت وأرسـلت لقتـل حمـزة ثـم بقـرت بطنـه ومضغـت كبـده بـكل شراسـة ويـوم فتـح مكـة أسـلمت كارهـة أكـثر مـن زوجهـا
هكذا نشأ معاوية .. نشأ في عائلة كارهة لعائلة النبي وعليّ
فـما مـن أحـدٍ أبغـض وأكـره للثُـوّار الزُهّـاد مـن التُجـار النفعيـين ومـا مـن أحـد أحقـر وأصغـر في عيـون أصحـاب المبـادىء مـن هـؤلاء الأغنياء المُترفـين الذيـن يعتقـدون بقدرتهـم عـلى شراء أي شـخص وأي قيمـة بأموالهـم .. ويسـاعد ضعـاف النفـوس في تغذيـة هـذا الشـعور لديهـم بالإلتفـاف حولهـم ومسـح أجواخهـم فيظنـون أنّ كل النـاس هكـذا

لكنهم دائماً يُفاجئون بشخص زاهد شريف يستعصي عليّهم ويكسر أنوفهم

فعلها النبي منذ سنوات طويلة مع أبو سفيان وأباطرة قريش عندما عرضوا عليْه الأموال الطائلة مقابل التوقّف عن دعوته فرفض قائلاً : لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر عن يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه ويكمل هذه المسيرة آل بيته .. عليّ وأولاده .. فقد كان المقربون من عليّ ينصحونه باستمالة معاوية وترك الشام له ليستفيد بنفوذه ويتّقي شره فيقول عليّ بحسم : والله لا أتركه يوماً واحداً

كان معاوية يرى في حياة الخليفة عثمان ما ستئول إليه البلاد فكان مُتحفظاً شديد التحفُّظ حتى يراقب الأمر ويتعقل له .. يستحثّ الناس على نُصرة عثمان من غير إلحاح .. وقد أخبر عثمان أنه سيُرسل له جنده في الحصار وسينصره ... لكنه لم يرسل حتى مات عثمان بعد حصار دام أكثر من أربعين يوماً

ثم خرج يستثمر هذه الفرصة العظيمة فهو لم يعد ليرضى بالشام وإنّما يطمع في الدولة الإسلامية كلها .. فرفع قميص عثمان واتّهم عليّ بالضُلوع في قتله وانقادت إليه قلوب أهل الشام .. بعضهم التبس عليْه الأمر في بدايته وبعضهم اشترى ذممهم

وعندما وجد طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا لمُلاقاة عليّ أرسل لهم من بني أمية من يُعلمهم أنّه معهم .. سيكفيهم الشام ومصر حتى يحصلوا هُم على العراق كاملة

كان يرى أنها فرصة لإنهاك عليّ بجيشه قبل أن يلقاه .. فهي فرصة

رخيصة مناسبة له سواء هزموا عليّ أو هزمهم

الفرق بين معاوية وعليّ كبير جداً .. والخلاف أوسع من خلاف على رأي أو سياسة فعليّ كان يرى الخلافة كما كانت في عهد أبي بكر وعمر .. زُهد .. ورع .. عدل ، ومعاوية كان يراها مُلكاً لا يستحقه سِوى عليّة القوم ومُترفيهم .. وعلى الفقراء السمع والطاعة

المسافة بعيدة تماماً بين الفارس الذي اعتاد أن يُغامر بحياته دائماً من أجل الآخرين .. والتاجر الذي يحسب كل خطوة ويُقيّمها بالمكاسب المادية ، بين الثائر الذي يُحارب لينتزع حقوق الفقراء ويُقلص الفوارق الطبقية .. والمُترف الذي يُلقي الفتات للفقراء ليرضي غروره ويشتري طاعتهم

عقيدتين مختلفتين وقناعتين متضادتين حتى لو كانا ظاهرياً على دين واحد

وكان عليّ يؤمن بذلك تماماً ويعلم أن مُعاوية لن يستقيم معه .. لكنه مع ذلك بدأ بمحاولاته السلمية حقناً للدماء وبدأ يرسل له الرسائل لطلب البيعة .

(رسائل)

استقر عليّ بالكوفة وأرسل إلى معاوية كتاباً يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم .. أما بعد .. فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليْه .. فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد .. وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماما كان ذلك لله رضا .. فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه إلى ما خرج منه .. فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيراً .. وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون .. فادخُل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرض للبلاء .. فإن تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليّك .. وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله .. فأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن .. ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان .. واعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحلُّ

لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى .. وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة .. فبايع ولا قوة إلا بالله

قرأ جرير على معاوية هذه الرسالة ثم قال له : فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس . فإن قلت : استعملني عثمان ثم لم يعزلني فإن هذا أمر لو جاز لم يقم لله دين ، وكان لكل امرئ ما في يده، ولكن الله لم يجعل للآخر من الولاة حق الأول ، وجعل تلك أموراً موطأة وحقوقاً ينسخ بعضها بعضاً

فكتب معاوية إلى عليّ جوابا مع جرير يرد عليْه : أما بعد .. فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين .. ولكنك أغريت بدم عثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار.. فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف .. وقد أبي أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان .. فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين.. وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم .. فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام .. ولعمري ما حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك .. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام

فردّ عليْه عليّ : أما بعد .. فقد جاءني منك كتاب امرئ ليس له بصرٌ يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستقاده .. زعمتُ أنك إنما أفسد عليّك بيعتي خطيئتي في عثمان .. ولعمري

ما كنت إلا رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على الضلال ولا ليضربهم بالعمى.. وما أمرت فيلزمني خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزمني قصاص القاتل.. أما قولك إن أهل الشام هم الحكام على الناس .. فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحلّ له الخلافة .. فإن سميت كذّبك المهاجرون والأنصار وإلا أتيتك به من قريش الحجاز .. وأما قولك ندفع إليك قتلة عثمان فما أنت وعثمان ؟ إنما أنت رجل من بني أمية .. وبنو عثمان أولى بعثمان منك .. فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم إليّ .. وأما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير.. فلعمري ما الأمر إلا واحد .. إنها بيعة عامة .. لا ينثني عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار .. وأما ولوعك بي في أمر عثمان فوالله ما قلت ذلك عن حق العيان ولا عن يقين الخبر.. وأما فضلي في الإسلام وقرابتي من رسول الله .. وشرفي في قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته

رد معاوية على عليّ :

أما بعد .. فإنّك قتلت ناصرك واستنصرت واترك .. وإيم الله لأرمينّك بشهاب تذكيه الريح ولا يطفئه الماء فإذا وقع وقب وإذا مسّ ثقب .. فلا تحسبنّي كسحيم أو عبد القيس أو حلوان الكاهن

فأجابه عليّ :

أما بعد .. فو الله ما قتل ابن عمك غيرك .. وإني أرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته .. وإن السيف الذي ضربت به أهلك لمعي دائم .. والله ما استحدثت ديناً .. ولا استبدلت نبياً

وإني على المنهاج الذي تركتموه طائعين وأُدخلتم فيه كارهين
عقب عودة عليّ من معركة الجمل ولّى قيس بن سعد على مصر
وكان صاحب راية الأنصار مع النبي ومشهوراً بشجاعته وذكائه
وخطب قيس في المصريين : الحمد لله الذي جاء بالحق وأمات
الباطل وكبت الظالمين إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا
فقوموا فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله فإن لم نعمل لكم
بذلك فلا بيعة لنا عليكم
فاستقبله المصريون بترحابٍ شديد واستقامت له مصر
فكان أثقل خلق الله على معاوية لقربه من الشام ومخافة أن
يستعين عليّ بالمصريين عليْه ومعهم جيشه في العراق
فأرسل له معاوية يحاول استمالته ويساومه على الدخول في طاعته
ضد عليّ مقابل أن يمنحه ولاية الحجاز لمن شاء من أهله ويعطيه
ما شاء ويهدده إن استمر مع عليّ
فلما قرأ قيس كتابه كتب إليه : أما بعد .. فالعجب من اغترارك
بي وطمعك في واستسقاطك إياي .. أتسومني الخروج عن طاعة
أولى الناس بالإمارة وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من
رسول الله وسيلة .. وتأمرني بالدخول في طاعتك ، طاعة أبعد الناس
من هذا الأمر وأقولهم بالزور وأضلهم سبيلاً وأبعدهم من رسول
الله وسيلة .. ولد ضالين مُضلّين .. طاغوت من طواغيت إبليس ..
وأما قولك إني مالئ عليك مصر خيلاً ورجالاً .. فوالله إن لم أشغلك
بنفسك حتى تكون أهم إليك إنك لذو جد .. والسلام .
لما رأى معاوية كتابه يئس منه وثقل عليْه مكانه .. فكاده من قبل

عـليّ .. فقـال لأهـل الشـام : لا تسـبّوا قيـس بـن سـعد ، ولا تدعـوا إلى غـزوه فإنـه لنـا شـيعة .. قـد تأتينـا كتبـه ونصيحتـه سراً

وزوَّر كتاباً عـن قيـس إليـه يُطالـب فبـه بـدم عثـمان والدخـول معـه في ذلـك وقـرأه عـلى أهـل الشـام

فبلغ ذلك عليّ وساءَه كثيراً

فقـال لـه عبـد اللـه بـن جعفـر : يـا أمـير المؤمنـين دع مـا يريبـك إلى مـا لا يريبـك.. اعـزل قيـس عـن مـصر

عليّ : إني والله ما أصدّق بهذا عنه

فقال ابن جعفر : ما أخوفني أن يكون ذلك ممالأة منه

وبعـد عـدة رسـائل بـين عـليّ وقيـس بهـا الكثـير مـن سـوء الفهـم نجحـت مكيـدة معاويـة

فقـال ابـن جعفـر لعـليّ : يـا أمـير المؤمنـين ابعـث محمـد بـن أبي بكـر عـلى مـصر واعـزل قيسـا

بالفعـل اضطـر عـليّ لاتخـاذ هـذا القـرار لأن الأمـور لا تحتمـل المخاطـرة بمـصر فلـما قـدم عليْـه قيـس وأخـبره الخـبر علـم أنـه كان يقـاسي بالفعـل أمـوراً عظيمـة مـن المُكايـدة فعظـم محـل قيـس عنـده وأصبـح مـن أقـرب رجالـه وأخلصهـم لـه .

(آخر الرسائل)

(والله ما تقدّمت إليها إلّا خوفاً من أن ينزوي على الأمر تيسٌ من بني أُميّة فيلعب بكتاب الله عزّ وجل)

عبارة قالها عليّ بن أبي طالب عقب تولّيه الخلافة توضّح مدى الخلاف وعمق الفجوة وبُعد المسافة بين بني هاشم ويمثّلهم عليّ بعد رسول الله وبين بني أمية ويمثّلهم معاوية بعد أبي سفيان

كتب معاوية إلى عليّ بن أبي طالب آخر رسالة قبل زحفه إلى صفين مُعلناً الحرب على عليّ :

أما بعد .. فإن الله اصطفى مُحمّداً وجعله الأمين على وحيِه والرسول إلى خلقِه .. واختار له من المسلمين أعواناً أيّده بهم وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام .. فكان أفضلهم في الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله .. الخليفة .. وخليفة الخليفة .. والخليفة الثالث .. فكلّهم حسدت .. وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشّزر وتنفسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء .. وأنت في كل ذلك تُقاد كما يقاد البعير المخشوش حتى تُبايع وأنت كارِه .. ولم تكن لأحدٍ منهم أشدّ حسداً منك لابن عمّك عثمان ..

وكان أحقّهم أن لا تفعل ذلك به لقرابته وصهره .. فقطعت رحمه وقبّحت محاسنه وألّبت الناس عليْه .. حتى ضربت إليه آباط الإبل وشهر عليْه السلام في حرم الرسول فقتيل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة لا تؤدّي عن نفسك في أمره بقولٍ ولا فعل برّ .. وأقسم قسماً صادقاً لو قمت في أمره مقاماً واحداً تنهَ الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً .. ولمحا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به من المُجانبة لعثمان والبغي عليْه وأخرى أنت بها عند أولياء ابن عفان ظنين إيواؤك قتلة عثمان .. فهم بطانتك وعضُدك وأنصارك وقد بلغني أنك تنتفي من دمه .. فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته نقتلهم به .. ثم نحن أسرع الناس إليك .. وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف .. والذي نفس معاوية بيده لأطلُبنّ قتلة عثمان في الجبال والرّمال والبرّ والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله .

هكذا كانت آخر رسالة لمعاوية كشف فيها عن قلبه واستفرغ ما في جوفه

فردّ عليْه عليّ بالآتي :

أما بعد .. ذكرت في كتابك مُحمداً صلّى الله عليْه وسلم وما أنعم الله به عليْه من الهُدى والوحى .. فالحمد لله الذي صدقه الوعد وتمّم له النصر ومكّنه في البلاد وأظهره على الأعادي من قومه الذين أظهروا له التكذيب ونابذوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه وإخراج أصحابه وألّبوا عليْه العرب وحزّبوا الأحزاب .. حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ..وذكرت أن الله اختار له

مـن المسـلمين أعوانـاً أيّـده بهـم فكانـوا في منازلهـم عنـده عـلى قـدر فضائلهــم في الإســلام .. فــكان أفضلهــم في الإســلام .. وأنصحهــم للــه ولرسـوله .. الخليفـة .. وخليفـة الخليفـة مـن بعـده .. ولعمـري إن كان مكانهـما في الإسـلام لعظيـماً وإن كان المُصـاب بهـما لجرحـاً في الإسـلام شـديداً فرحمهـما اللـه وغفـر لهـما .. وذكـرت أن عثـمان كان في الفضـل تاليـاً .. فـإن كان مُحسـناً فسـيلقي ربـاً شـكوراً يُضاعـف لـه الحسـنات ويجزيــه الثــواب العظيــم .. وإن كان مُســيئاً فســيلقى ربــاً غفــوراً لا يتعاظمـه ذنـبٌ أن يغفـره .. ولعمـري إني لأرجـو إذا اللـه أعطـى النـاس عـلى قـدر فضائلهـم في الإسـلام ونصيحتهـم للـه ولرسـوله أن يكـون سـهمنا أهـل البيـت أوفـر نصيـب .. وزعمـت أن أفضـل الناس في الإسـلام فـلان وفـلان .. فـما أنـت والفاضـل والمفضـول ؟ والسـائس والمسـوس ؟ ومـا للطُلقـاء وأبنـاء الطُلقـاء والتمييـز بـين المهاجريـن الأولـين وترتيـب درجاتهـم وتعريـف طبقاتهـم ؟ .. هيهـات لقـد حـن قـدح ليـس منهـا وطفـق يحكـم فيهـا مـن عليْـه الحكـم لهـا .. ألا تربـع أيهـا الانسـان عـلى ظلعـك ؟ وتعـرف قصـور ذرعـك وتتأخـر حيـث أخّـرَك القـدر ؟ فـما عليـك غلبـة المغلـوب .. ولا لـك ظفـر الظافـر.. وإيـم اللـه مـا رأيـت ولا سـمعت بأحـد كان أنصـح للـه في طاعـة اللـه ورسـوله ولا أنصـح لرسـول اللـه في طاعـة اللـه ولا أصـبر عـلى البـلاء والأذى في مواطـن الخـوف مـن هـؤلاء النفـر مـن أهـل بيتـه .. الذيـن قُتِلـوا في طاعـة اللـه : عبيـدة بـن الحـارث يـوم بـدر .. وحمـزة بـن عبـد المطلـب يـوم أحـد وجعفـر وزيـد يـوم مؤتـة .. وفي المهاجريـن خـير كثـير جزاهـم اللـه بأحسـن أعمالهـم.. وذكـرت إبطـائي عـن الخُلفـاء وحسـدي إياهـم والبغـي عليّهـم .. فأمـا

البغـي فمعـاذ اللـه أن يكـون .. وأمـا الإبطـاء فـما أعتـذر إلى النـاس منـه.. فأمـا الحسـد فمعـاذ اللـه أن أكـون أسررتـه أو أعلنتـه .. وذكـرت بغيـي عـلى عثـمان وقطعـي رحمـه .. فقـد عمـل عثـمان بمـا قـد علمـت وعمـل بـه النـاس مـا قـد بلغـك .. وقـد علمـت أني كنـت مـن أمـره في عُزلـة إلا أن تجنـي عـليّ فتجـنّ مـا شـئت .. وأمـا ذكـرك قتلـة عثـمان ومـا سـألت مـن دفعهـم إليـك .. فـإني نظـرت في هـذا الأمـر وضربـت أنفـه وعينـه فلـم يسـعني دفعهـم إليـك ولا إلى غـيرك .. وإن لم تنـزع عـن غيّـك لتعرفنّهـم عـما قليـل يطلبونـك ولا يكلّفونـك أن تطلبهـم في سـهلٍ ولا جبـل .. ولا بـرٍّ ولا بحـر .. وقـد كان أبـوك أبـو سـفيان أتـاني حـين قُبـض رسـول اللـه صـلّى اللـه عليْـه وسـلم فقـال : ابسـط يـدك أبايعـك فأنـت أحـقّ النـاس بهـذا الأمـر .. فكنـت أنـا الـذي أبيـت عليْـه مخافـة الفُرقـة بـين المسـلمين لقـرب عهـد النـاس بالكفـر .. فأبـوك كان أعلـم بحقّـي منـك .. فـإن تعـرف مـن حقـي مـا كان أبـوك يعرفـه تصـب رشـدك وإلا فنسـتعين اللـه عليـك . . وأمـا تحذيـرك إيـاي أن يُحبـط عمـلي وسـابقتي في الاسـلام .. فلعمـري لـو كنـت الباغـي عليـك لـكان لـك أن تحـذرني ذلـك ولكنـي وجـدت اللـه تعـالى يقـول : فقاتلـوا التـي تبغـي حتـى تفـيءَ إلى أمـر اللـه .. فنظرنـا إلى الفئتـين .. أمـا الفئـة الباغيـة فوجدناهـا الفئـة التـي أنـت فيهـا لأن بيعتـي لزمتـك وأنـت بالشـام كـما لزمتـك بيعـة عثـمان بالمدينـة وأنـت أمـير لعمـر عـلى الشـام وكـما لزمـت يزيـد أخـاك بيعـة عمـر وهـو أمـير لأبي بكـر عـلى الشـام .. وأمـا شـق عصـا هـذه الأمـة .. فأنـا أحـق أن أنهـاك عنـه .. فأمـا تخويفـك لي مـن قتـل أهـل البغـي فـإن رسـول اللـه أمـرني بقتالهـم

وقتلهم وقال لأصحابه: إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .. وأشار إليّ .. وأنا أولى من اتبع أمره .. وأما قولك : إن بيعتي لم تصح لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها .. فكيف ؟ فإنما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب .. لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار .. الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن ثم ختم عليٌّ رسالته : وذكرت إنه ليس لي ولا لأصحابي عندك إلا السيف .. فلقد أضحكت بعد استعبار .. متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مُخوّفين ؟؟!! .. فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد .. وأنا مُسرعٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان .. شديدٌ زحامهم ساطع قتامهم متسربلين سرابيل الموت .. أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم وقد صحبتهم ذرية بدرية .. وسيوف هاشمية .. قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك .. وما هي من الظالمين ببعيد.. فاربع على ظلعك وانزع سربال غيك واترك ما لا جدوى له عليك فليس لك عندي إلا السيف حتى تفيء إلى أمر الله صاغراً وتدخل في البيعة راغماً .. والسلام

وهكذا كانت آخر الرسائل بينهما وكانت الأمور كلها مُتجهة إلى الحرب .

(صفين)

هكذا أيقن عليّ أنه لا فائدة من الرسائل مع معاوية فهو صاحب غرض

فجمع الناس وأمرهم بالخروج معه لمُلاقاة معاوية .. ووقف يخطب فيهم :

أيها الناس .. إن الموتَ طالبٌ لا يُعجزه هارب ولا يفوته مُقيم .. أقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص .. والذي نفس ابن أبي طالب بيده إنّ ضربة سيف أهوَنُ من موتِ الفراش .. أيها الناس .. اتقوا السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدي وإياكم الراية الحمراء

في هذا الوقت كانت معظم ولايات الدولة الإسلامية قد دخلت في طوع عليّ إلّا الشام

وكان عمرو بن العاص قد أشار على معاوية بالخروج لملاقاته وبدأ يُحرّض جيش الشام على عليّ قائلاً : إن أهل العراق قد فرّقوا جمعهم ووهنوا شوكتهم وأهل البصرة مخالفون لعليّ بمن قتل منهم وقد تفانت صناديدهم وإنما سار عليّ في شرذمة قليلة

وقد قتل خليفتكم .. فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تطلبوه

المُفارقة هنا أن عمرو بن العاص الذي يتابكى على دم عثمان ويقود حربا ضد عليّ رافعا شعار القصاص لعثمان كان من أشدّ المُحرّضين والساخطين على عثمان بعدما عزله عن مصر وبعدما ترك المدينة مُتّجهاً إلى فلسطين لدرجة أنه كان يقول : والله إني لألقى الراعي فأُحرّضه على عثمان

وقد فرح بخبر مقتله كثيرًا حتى أنه صرخ من فرحته قائلاً : أنا قتلته .. أنا قتلته

وانطلق إلى معاوية وأصبح قائد جيشه ومستشاره الأول في حربه ضدّ عليّ مقابل أن يُعيده إلى حلمه القديم .. مصر

وكان واضحا مع معاوية من أول يوم فكان يقول له : أما والله إنا نُقاتل معك نُطالب بدمّ الخليفة وإن في النفس من ذلك ما فيها حيث نقاتل من نعلم سابقته وفضله وقرابته ولكننا إنّما أردنا هذه الدُنيا

أرسل عليّ سرايا من جيشه يقودها الأشتر يسبقه إلى الشام حتى يلحق به عليّ وقال له : إذا قدمت عليهم فإياك ان تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدأوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم .. ولا يحملك بُغضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة .. ولا تدنُ منهم دُنوّ من يريد أن ينشب الحرب .. ولا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم عليك فإني حثيث المسير في أثرك إن شاء الله

ونـزل جيـش معاويـة في منطقـة صفـين عـلى الحـدود السـورية العراقيـة قبـل جيـش عـليّ فاختـار المـكان الأنسـب والأقـرب المـاء وبـدأ يمنـع المـاء عـن جيـش عـليّ فـور وصولـه

واشتد العطش

وبمجـرد وصـول عـليّ أرسـل إلى معاويـة يقـول لـه : إنـا سِرنـا مسـيرنا هذا ونحـن نكـره قتالكـم فقدمـت إلينـا خيلـك ورجالـك فقاتلتنـا قبـل أن نقاتلـك ونحـن مـن رأينـا الكـفّ حتـى ندعـوك ونحتـج عليّـك .. وهـذه أخـرى قـد فعلتموهـا منعتـم النـاس عـن المـاء .. فابعـث لأصحابـك فليخلـوا بـين النـاس وبـين المـاء وليكفُّـوا لننظـر فيـما بيننـا وبينكـم وفيـما قدمنـا لـه .. فـإن أردت أن نـترك مـا جئنـا لـه ونقتتـل عـلى المـاء حتـى يكـون الغالـب هـو الشـارب فعلنـا

فاستشـار معاويـة أصحابـه فمنهـم مـن أشـار عليْـه باسـتمرار منـع المـاء ومنهـم مـن رفـض .. فماطـل معاويـة مُماطلـة التجـار ليكسـب وقـت حتـى اشـتدّ العطـش عـلى أصحـاب عـليّ فقـال لهـم عـليّ : قاتلوهـم عـلى المـاء

وأرسـل لهـم أكـثر مـن سريـة تقاتـل ومعاويـة يرسـل لأصحابـه المـدد حتـى انتـصر أصحـاب عـليّ وسـيطروا تقريبـا عـلى المـاء وقالـوا : واللـه لا نسـقيه أهـل الشـام

فأرسـل لهـم عـليّ : خـذوا مـن المـاء حاجتكـم وخلُّـوا عنهـم فـإن اللـه نصركـم ببغيهـم وظلمهـم

وبـدأ عـليّ يرسـل الوسـطاء ليتـمّ الأمـر دون إراقـة الدمـاء ومعاويـة يزيـد النـار اشـتعالاً بقضيـة عثـمان وأرسـل وفـد إلى عـليّ يطالبـه

بتسليم قتلة عثمان

فقال لهم عليّ : إن الله جل ثناؤه بعث مُحمداً صلى الله عليْه وسلم بالحق فأنقذنا به من الضلالة والتهلكة وجمعنا به من الفُرقة ثم قبضه الله إليه وقد أدّى ما عليْه .. ثم استخلف الناس أبا بكر وعمر فأحسنا السيرة وعدلا في الأُمّة وقد وجدنا عليهما أن تولّيا علينا ونحن آل رسول الله صلى الله عليْه وسلم فغفرنا ذلك لهما .. وولى عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليْه فساروا إليه فقتلوه ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي : بايع .. فأبيت عليهم فقالوا لي : بايع فإن الأمة لا ترضى إلا بك وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس .. فبايعتهم فلم يرعني إلا شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي لم يجعل الله عزّ وجل له سابقة في الدين ولا سلف صدقٍ في الإسلام .. طليقٌ ابن طليق حزب من هذه الأحزاب لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين .. فلا غرو إلا خلافكم معه وانقيادكم له وتدعون آل نبيكم صلى الله عليْه و سلم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم من الناس أحداً .. ألا إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ و جل وسُنّة نبيّه صلى الله عليْه وسلم وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين

فقالوا له : إشهد أن عُثمان قُتل مظلوماً

عليّ : لا أقول أنه قتل مظلوماً ولا أنه قتل ظالماً

قالوا : فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه براء

ثم قاموا وانصرفوا

فقال عليّ : إنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصُّم الدعاء إذا ولّوا مُدبرين وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون

ثم أقبل عليّ على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أولى بالجدّ في ضلالهم منكم بالجدّ في حقكم وطاعة ربكم

ثم تابع : لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فأنتم بحمد الله على حُجّة وترككم قتالهم حُجّة أخرى فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرًا ولا تجهزوا على جريحٍ ولا تكشفوا عورةً ولا تمثلوا بقتيل .. وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم ولا تهيجوا امرأة وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس

والتقى الجمعان بنظام سرايا تخرج لبعضها البعض واستمرت الحرب أياماً مبارزة وقتال

وفي أحد الأيام خرج للمبارزة عبيد الله بن عمر بن الخطاب فخرج له عليّ بن أبي طالب فانسحب عبيد الله

فقال محمد بن عليّ لأبوه : يا أمير المؤمنين كيف تخرج لهذا الفاسق ؟ والله إني لأرغب بك عن أبيه

فغضب عليّ وقال له : يا بُنيّ لا تقل في أبيه إلا خيراً

ثم تقاتل الجيشان بكاملهما قتالاً شديداً فلم يغلب أحد

كان سقوط الضحايا يُدمي قلب عليّ فما كان يرغب في ذلك

حتى أنه خرج في أرض المعركة أثناء توقف القتال ينادي على معاوية ويصيح : يا معاوية .. يا معاوية .. علام يُقتل الناس بيننا!!

هلُـمَّ أحاكمـك إلى اللـه فأيّنـا قتـل صاحبـه اسـتقامت لـه الأمـور
فـمال عمـرو بـن العـاص عـلى معاويـة قائـلاً بخبـث : أنصفـك واللـه .. ومـا يُحسـن بـك الهـروب مـن مبارزتـه
فقـال معاويـة بعصبيـة : مـا أنصفـت أنـت إنـك لتعلـم أنـه لم يـبرز إليـه أحـداً إلا قتلـه .. وأنـت طمعـت فيهـا مـن بعـدي
ثم استطرد : والله ما رضيت عنك حتى تخرج لعليّ وتبارزه
وأصرّ معاويـة عـلى خروجـه فخـرج عمـرو بـن العـاص داهيـة العـرب وقائـد جيـش الشـام في مواجهـة الفـارس .. عـليّ بـن أبي طالـب .

(رفع المصاحف)

يمُـرّ الإنسـان العـادي بمراحـل مُختلفـة في حياتـه تتغـيّر فيهـا شـخصيته وطريقـة تفكـيره وتناولـه للأمـور بحسـب سـنّه .. فتجـده طفـلاً يلهـو ويلعـب مـع أقرانـه ثـم شـاباً مُتهـوّراً ومُقبـلاً عـلى ملـذّات الحيـاة ثـم رجـلاً مُتطلعـاً لمنصـب أو جـاه ثـم شـيخاً يتعلّـق بالدنيـا ويخـشى المـوت ويـرى الشـجاعة تهـوّر فيكـره الإقـدام ويُفضّـل الإدبـار

بـكل المقاييـس عـليّ بـن أبي طالـب لم يكـن شـخصاً عاديـاً .. فتجـده طفـلاً وشـاباً يملـك حكمـة وهيبـة الشـيوخ وتجـده شـيخاً مـازال مُحتفظـاً بقـوة وإقـدام وشـجاعة الشـباب وتقـرأ أو تكتـب عنـه فتتـوه في عُمـره لأنـه يفعـل دائمـاً مـالا يفعلـه أقرانـه .. هـو الـذي أهـان الدنيـا وسـخر مـن المـوت

(أخـرج إليّ يـا معاويـة أُقاتلـك .. فأيّنـا قتـل صاحبـه اسـتقامت لـه الأمـور)

كانـت كلماتـه مُدويّـة في أرض المعركـة وقـراره مُفاجئـاً للجميـع .. مُبهـراً لجيشـه ومُربـكاً لخصمـه .. فالأمـر غـير مسـبوق في المعـارك .. فالمُعتـاد أن قـادة الجيـوش ينـوؤا بأنفسـهم عـن المُبـارزة والمعـارك ويُحيطـون أنفسـهم بالحُـرّاس مُكتفـين بالقيـادة

لكنّه متى كان عليّ يفعل المعتاد ؟؟

دائماً ما يخرق ويكسر أي قواعد فيُبهر الجميع حتى وهو في السِتّين من عمره .. يخرج ليُواجه قائد جيش الخصم حقناً لدماء أفراد الجيشين

لكن معاوية خشي مواجهته وأجبر عمرو بن العاص على الخروج له .. فخرج عمرو بن العاص وقد توقّف أفراد الجيشان يترقّبون ما ستُسفر عنه هذه المواجهة

وبدأت المبارزة واختلط صوت صليل السيفين بصوت حركة أقدامهما على الأرض وعمرو يحاول الإلتفاف حول عليّ ليضربه في مقتل .. حتى سنحت الفرصة فرفع سيفه يهوي به بكل قوته على عليّ الذي تفادى ضربته بمهارة وضرب على سيفه فسقط عمرو على الأرض وطار سيفه بعيداً .. فرفع عليّ سيفه ليقتله فإذا بعمرو بن العاص يرفع ثوبه ويكشف عورته في مواجهة عليّ الذي أوقف ضربته وأدار وجهه

فقام عمرو يجري مُسرعاً بعيداً عن عليّ الذي منعته مروءته من الإنقضاض عليْه من ظهره والفتك به .. فتركه ينجو بحياته

كانت واقعة لا تُتنسى .. حتى أن معاوية بعدها بسنوات كان جالساً مع عمرو وفجأه انفجر بالضحك

فقال له عمرو : أضحك الله سنّك .. ما الذي أضحكك ؟؟

معاوية : من حضور ذهنك يوم بارزت عليّاً إذ اتّقيته بعورتك .. أما والله لقد صادقت منّاناً كريماً .. ولولا ذلك لخرَمَ رفغيك بالسيف

عمرو : أما والله إني عن يمينك إذ دعاك إلى المبارزة فاحولّت عيناك

وربا سحرك وبدا منك ما أكره ذكره لك

استمرّت المعركة أيّاماً وقُتل عمّار بن ياسر على يد جيش معاوية والجميع يعلم أن النبي قال له بوضوح : يا عمّار .. تقتلك الفئة الباغية ..

ويرتبك جيش معاوية فيذهبون إليه لكن معاوية وجد لها مخرجاً وقال لهم : قتله من أخرجه ..

وسمع بذلك عليّ فقال : سبحان الله .. ونحن أيضاً قتلنا حمزه إذ أخرجناه يوم أحد !!

أمّا جيش معاوية ففرحوا بهذا التأويل .. فعادةً مَن يتّبع الباطل لهدف دُنيوي لا يحتاج لأكثر من تأويلات بسيطة تقلب الحقائق وتساعده في تنويم ضميره

واستمرّوا في القتال بمُنتهى القوة

فكان عليّ يقول لأصحابه : لا يهولنّكم ما ترون من صبرهم .. فوالله ما هي إلا حمية العرب وصبرها تحت رايتها وإنهم لعلى الضلال وإنّكم على الحق

لكن بعد عشرة أيام قتال بدأت الكفّة تميل لصالح جيش عليّ والإنتصار منهم يقترب

فهمس عمرو بن العاص لمعاوية : هل لك في أمرٍ أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلّا فُرقة ؟

معاوية : نعم

عمرو : نرفع المصاحف ونقول هذا حكمٌ ينا وبينكم .. فإن رفض بعضهم فستجد من يوجب قبولها .. فتكون فُرقة بينهم .. وإن

قبلوا جميعاً كانت فرصة لنا لرفع القتال إلى أجل
هي بالفعل فرصتهم الأخيرة للنجاة فوافق معاوية على الفور ورفع أفراد جيشه المصاحف على أسنّة الرماح ونادوا : هذا حُكم الله بيننا وبينكم
فأسرع عبد الله بن عباس يقول لعليّ : اجعلني أحد الحكمين فوالله لأفتلنّ لك حبلاً لا ينقطع وسطه ولا ينشر طرفاه
عليّ : لست من كيدك ولا من كيد معاوية (يعني لا أحتاج كيدك).. لا أعطيه إلا السيف حتى يغلبه الحق
ابن عباس : وهو لا يعطيك إلا السيف حتى يغلبك الباطل
عليّ : وكيف ذلك ؟؟
ابن عباس : لأنك تُطاع اليوم وتعُصى غداً .. وإنّه يُطاع اليوم ولا يُعصى غداً
ولم ينتظر جيش عليّ قرار قائدهم فاندفعوا قائلين : نُجيب إلى كتاب الله
فقال لهم عليّ : عباد الله امضوا إلى حقّكم وصِدقكم وقتال عدوّكم.. فإن مُعاوية وعمرو وابن أبي معيط وابن ابي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن .. فأنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال .. ويحكم .. والله ما رفعوها إلاّ خديعة ووهناً ومَكيدة
فقال الناس : لا يسعنا أن نُدعى إلى كتاب الله فتأبى أن نقبله
عليّ : فإني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه

فقال له مُسعر التميمي والذي صار من الخوارج بعد ذلك : يا عليّ أجب إلى كتاب الله عزوجل إذ دُعيت إليه وإلا دفعناك برُمّتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان

عليّ : فاحفظوا عني نهيي إياكم .. واحفظوا مقالتكم لي .. فإن تطيعوني فقاتلوا .. وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم

بالفعل كما تنبّأ عمرو .. بدأت الفُرقة والخلاف في الجيش وبدأت تظهر مجموعة الخوارج التي تزايد على الجميع حتى على عليٍّ نفسه .. وارتفعت أصوات الغوغاء وطالبوا عليّ بأن يرسل مندوب لمعاوية يفاوضه

فقال معاوية : تبعثون رجلاً ترضونَهُ ونبعث رجلاً نرضى به نأخذ عليّهم أن يعملا بما في كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليْه

فقالت مجموعة الخوارج : إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري

عليّ : قد عصيتموني في أول الامر فلا تعصوني الآن .. لا أرى أن أولي بها أبا موسى

فقالوا : لا نرضى إلا به .. فإنه قد حذّرنا ما وقعنا فيه

عليّ : فإنه ليس بثقة .. قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى أمنته بعد أشهر

فعرض عليهم بعض الأسماء البديلة فرفضوا قائلين : لا نرتضي إلا أبا موسى

فقال عليّ غاضباً : فاصنعوا ما أردتم

وبدأت اجراءات التحكيم .

(الخوارج)

حضر عمرو بن العاص عند عليّ وبدءَا كتابة الإتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم .. هذا ما تقاضا عليْه عليّ أمير المؤمنين..

فقاطعه عمرو : أُكتب اسمه واسم أبيه .. هو أميركم أنتم وليس أميرنا

فقال أحد أنصار عليّ : لا نمحُ اسم أميرنا

تردّدت الجملة في أُذن عليّ وهو يتذكّر معها مشهده مع رسول الله من ثلاثين عاماً أثناء كتابة صلح الحديبية وكان هو الذي يكتب الإتفاق أمام مندوب قريش وقتها سهيل بن عمرو

فكتب عليّ : بسم الله الرحمن الرحيم

فاعترض سهيل قائلاً : ما نعرف الرحمن الرحيم .. أُكتب باسمِك اللهُمّ

فأمره النبي أن يمحُها ويكتب باسمك اللهم

ثم كتب عليّ : هذا ما تقاضاه محمد رسول الله .....

فقاطعه سُهيل بغلظة : لو نعلم أنك رسولٌ لاتّبعناك .. أُمحها وأكتب اسمه واسم أبيه .. أكتب محمد بن عبد الله

فغضب عليّ وقال : والله لا أمحها

مشهد لا ينساه .. ويراه الآن يتكرر بعد ثلاثين سنة .. لكن الفارق أنه الآن بدون رسول الله .. فما أقسى هذا الفارق وأشدّه عليْه !!

قال عليّ : الله أكبر! سُنَّة بسُنَّة .. والله إنِّي لكاتبٌ يوم الحديبية فكتبتُ : محمَّد رسول الله .. فقالوا : لستَ برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك .. فأمرني بمحوه .. فقلتُ : لا أمحها .. فقال النبي: أرنيها يا عليّ .. فأريتُه .. فمحاها بيده الشريفة .. وقال النبي : إنَّك ستُدعى إلى مثلها فتجيب

وحدثت نبوءة حبيبهُ رسول الله

فقال له عمرو : سبحان الله ! أتشبِّهنا بالكفَّار ونحن مؤمنون !!

عليّ : يا ابن النابغة (النابغة اسم أم عمرو) .. ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدوّاً ؟؟

فغضب عمرو وقام قائلاً : والله لا يجمع بيني وبينك مجلسٌ بعد هذا اليوم أبداً

عليّ : إنِّي لأرجو أن يُطهِّر الله مجلسي منك ومن أشباهك

بعدها عاد عمرو

وتمّت كتابة الإتفاق كالتالي :

« هذا ما تقاضى عليْه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.. قاضى عليّ أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين .. وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين .. إنا ننزل عند حكم الله وكتابه ونُحيي ما أحيا الله ونُميت ما أمات الله .. فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص .. عملا به .. وما لم يجدا في كتاب الله

فالسُـنّة العادلـة الجامعـة غـير المُفرّقـة «

ثـم أخـذ الحكـمان مـن عـليّ ومعاويـة ومـن الجُنديـن العهـود والمواثيق أنهـما آمنـان عـلى أنفسـهما وأهلهـما وأن الأمـة سـتتبعهما عـلى مـا يتقاضيـا عليْـه .. وأجّـلا القضـاء وقـرار التحكيـم إلى رمضـان بعـد خمسـة شـهور تقريبـاً مـن كتابـة هـذا الاتفـاق

ووقف عليّ حزيناً يقول لجيشه :

واللـه لقـد فعلتـم فِعلـة ضعضعـت قـوة وأسـقطت منّـة وأورثـت وَهَنـاً وذِلّـة .. فلـمّا كنتـم الأعلـيّن وخـاف عدوّكـم الإجتيـاح واسـتحرّ بهـم القتـل ووجـدوا ألم الجِـراح .. رفعـوا المصاحـف فدعوكـم إلى مـا فيهـا ليفتنوكـم عنهـم ويقطعـوا الحـرب ويتربصـوا بكـم المنـون خديعـةً ومكيـدة .. فأعطيتموهـم مـا سـألوا وأبيتـم إلا أن تدهنـوا وتجـيروا .. وإيـم اللـه مـا أظنكـم بعدهـا تُوفّقـون الرُشـد ولا تصيبـون بـاب الحـزم نجحـت خدعـة عمـرو في إحـداث شرخ كبـير في جيـش عـليّ فعـادوا مـن صفـين وقـد انقسـم الجيـش لفرقتـين يتشـاتمون ويتضاربـون بالسّـياط تقـول فرقـة للأخـرى : يـا أعـداء اللـه .. أدهنتـم في أمـر اللـه

وتقول الأُخرى : فارقتم إمامنا وفرّقتم جماعتنا

واعتـزل الخـوارج عـن الجيـش وبـدأوا يجتمعـون مـع بعضهـم دون غيرهـم مـن المسـلمين وكان عددهـم يقـارب الإثنـي عـشر ألـف .. والحقيقـة أن موقـف الخـوارج كان مـن أغـرب المواقـف في التاريـخ الاسـلامي كلـه .. فهـم مَـن ضغطـوا عـلى عـليّ ليقبـل التحكيـم وبمجـرد أن تـمّ التحكيـم والإتفـاق بـدأوا في المُزايـدة عليْـه والمطالبـة بنقـض هـذا الإتفـاق والخـروج لقتـال معاويـة

أرسل عليّ إليهم عبد الله بن عباس فجعلوا يُراجعونه ويلومونه باستخدام آيات في غير موضعها فلم يصل معهم لشيء .. حتى جاءهم عليّ بنفسه

وقال لهم : أُنشدكم الله .. أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف وقُلتم نُجيبهم حذّرتكم وقلت لكم أنهم ليسو أصحاب دين ؟؟

قالوا : صدقت .. قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كُفراً منا وقد تبنا إلى الله فتُب كما تُبنا نبايعك وإلاّ فنحن لك مخالفون

واشتدت الخلافات والفتن حتى أنّ عليّاً كان يخطب في المسجد فترتفع أصوات الخوارج بالهتاف : لا حُكم إلا لله .. لا حُكم إلا لله

فيقول عليّ : كلمة حق يُراد بها باطل

فيقول أحدهم : تُب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربنا

عليّ : قد أردتكم على ذلك فعصيتموني .. وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وعهداً والله تعالى يقول وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

فيقول آخر : ذلك ذنبٌ يجب أن تتوب منه .. ولئِن لم تُحكّم الشريعة وتدعُ تحكيم الرجال لأقاتلنك

عليّ : بُؤساً لك .. ما أشقاك

فصاح أعوانه : الله أكبر الله أكبر

فكرّر عليّ بحزن : كلمة حق يُراد بها باطل

ثم استطرد عليّ : أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه .. ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم في أيدينا .. ولا نُقاتلكم حتى تبدأونا

ثم تركهم وانصرف

بعدها اجتمع الخوارج وقالوا : أخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها إلى الجبال بعيداً عن هذه البِدَع المُضلّة .. اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حُكم الله فإنكم أهل الحق

وبالفعل خرجوا إلى جسر النهروان .. وانضمّ إليهم الكثير من الناس ممن لديهم الإستعداد للتطرُّف من أهل الكوفة والبصرة .

(الخدعة)

جاء وقت اجتماع الحكمين فأرسل عليّ أربعمائة رجل مع أبي موسى الأشعري على رأسهم عبد الله بن عباس وشُريح بن هانىء وأوصى الأخير أن يُبلغ عمرو بن العاص رسالته الأخيرة له :

(إن عليّاً يقول لك : إن أفضل الناس عند الله مَن كان العمل بالحقّ أحبُّ إليه وإن نقصه الباطل أو زاده .. يا عمرو إنّك لتعلم أين موضع الحق فلِمَ تتجاهل ؟ أبِأن أوتيت طمعاً يسيراً كنت لله به ولأوليائه عدواً ؟؟ .. وكأنّ الله ما أُوتيت قد زال عنك .. ويحك فلا تكن للخائنين خصيماً وللظالمين ظهيراً .. أما إنّي أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم وهو يوم وفاتك تتمنّى أنك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكمٍ رشوة)

هنا تغيّر وجه عمرو وقال : متى كنت أقبل مشورة عليّ بن أبي طالب أو أعتدّ برأيه ؟؟

شُريح : وما يمنعُك يابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيّد المسلمين مشورته !! .. فقد كان مَن هو خيرٌ منك أبا بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه

عمرو : إن مثلي لا يُكلّم مثلك

شريح : بأيّ أبويك ترغب عنّي يابن النابغة ؟ أبأبيك الوسط أم بأمك النابغة

فغضب عمرو وقام عنه

لم يعد عمرو يتحمّل هذا اللُّوم والتأنيب .. فقد اختار طريقه وحسم موقفه وباع كل المبادىء والقيم واستقرب الدنيا .. وأي محاولة لتذكيره بذلك تربكه وتغضبه

كان عمّار بن ياسر قبل موته يقول له : تبّاً لك يا عمرو .. بِعت دينك بمصر

عمرو : لا ولكنّي أطلب دم عثمان

عمّار : أنا أشهدُ على علمي فيك أنك لا تطلب بشيء من فِعلك وجه الله

أمهل عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ثلاثة أيام ثم أقبل عليْه بأفخر أنواع الطعام .. وبدأ الكلام بالمبالغة في احترامه وتوقيره ثم دخل في الموضوع

عمرو : يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قُتل مظلوماً ؟

أبو موسى : أشهد

عمرو : ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟

أبو موسى : بلى

عمرو : فما يمنعك منه وبيته في قريش كما قد علمت ؟ فإن خفت أن يقول الناس : ليست له سابقة فقل وجدته وليّ عُثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه .. الحسن السياسة والتدبير .. وهو أخو أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله ه وسلم وكاتبه .. وقد صحبه

وعرض له بسلطان و....

قاطعه أبو موسى : يا عمرو اتقِ الله .. فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يُولّاه أهله .. ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبرهة بن الصباح .. إنما هو لأهل الدين والفضل .. مع أنّي لو كنت مُعطيه أفضل قريش شرفا لأعطيته عليّ بن أبي طالب .. وأما قولك : إن معاوية وليّ دم عثمان فولّه هذا الأمر .. فلم أكن لأولّيه وأدع المهاجرين الأولين .. وأما تعريضك لي بالسلطان .. فوالله لو خرج معاوية لي من سلطانه كله لما ولّيته.. وما كنت لأرتشي في حكم الله .. ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب رحمه الله (يعني نُولّي ابنه عبد الله بن عمر)

عمرو : إن كنت تُحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وأنت تعرف فضله وصلاحه

أبو موسى : إن ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة

عمرو : إن هذا الأمر لا يُصلحه إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم وأنت تعلم ابن عمر

ظلاّ يتجادلا .. حتى قال له عمرو : خبرني ما رأيك ؟؟

أبو موسى : رأيى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبُّوا

عمرو : فإن الرأى ما رأيت

فخرجا إلى الناس وهم مجتمعون .. وكان عمرو يُقدّم أبا موسى في الكلام ويقول له طوال الجلسة إنك صاحب رسول الله صلى الله عليْه وسلم وأنت أسنّ منى فتكلم وأتكلم بعدك

فقال عمرو : يا أبا موسى أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع واتفق

أبو موسى : إن رأيي ورأي عمرو قد اتفقا على أمرٍ نرجو أن يصلح الله عز وجل به أمر هذه الامة

عمرو : صدقٌ وبرٌ يا أبا موسى .. تقدّم فتكلم

أبو موسى : إنا قد نظرنا في ..

فقاطعه ابن عباس : ويحك والله إني لأظنُّه قد خدعك .. إن كنتما قد اتفقتما على أمرٍ فقدّمه ليتكلّم بذلك الأمر قبلك ثم تكلم أنت بعده فإن عمرو رجلٌ غادرٌ ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك

تجاهله أبو موسى واستطرد : يا أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من أمرٍ قد جمع رأيي ورأي عمرو عليْه .. وهو أن نخلع عليّاً ومُعاوية وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولُّوا منهم من أحبّوا عليهم .. وإني قد خلعت عليّاً فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر ثم تنحى أبو موسى وأقبل عمرو بن العاص وقام مقامه فحمد الله وأثنى عليْه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه.. وأنا أخلع صاحبه كما خلعه .. وأثبت صاحبي معاوية فإنه وليّ عثمان بن عفان رضى الله عنه والطالبُ بدمه وأحقّ الناس بمقامه فقام أبو موسى يقول له : مالك لا وفّقك الله .. غدرت وفجرت .. إنّما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليْه يلهث أو تتركه يلهث

عمرو : وإنّما مثلك كمثل الحمارِ يحمل أسفاراً

فانقضّ شُريح بن هانئ على عمرو بن العاص فضربه بالسوط

على رأسه فقام ابنٌ لعمرو يحاول ضرب شُريح فقام الناس يحجّزوا بينهم ويبعدوهم عن بعضهم

ظلّ بعدها شُريح يقول : ما ندمتُ على شئٍ ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ولم أضربه بالسيف

يقول ابن عباس : قبّح الله رأي أبى موسى حذّرته وأمرته بالرأى فما عقل

وكان أبو موسى يقول : حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق ولكنّي اطمأننت إليه وظننتُ أنه لن يؤثر شيئاً على نصيحة الأمة

وحاول أهل الشام الإعتداء على أبي موسى الذي ركب راحلته وهرب على مكة

انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية .. فسلّموا عليْه بالخلافة .. وجعل معاوية يسُبّ عليّ والحسن والحسين كُلّما صعد المنبر أو اجتمع بأهل الشام

وعاد ابن عباس وشريح إلى عليّ الذي ظل يدعو على معاوية وعمرو وأنصارهما .. وعاد يفكر في حربهم مرة أخرى حتى يستردّ الدولة الإسلامية المخطوفة .

(معركة النهروان)

اجتمع الخوارج عقب تصاعد خلافهم مع عليّ وقرّروا الإنعزال عن هذا المجتمع الذي يرونه كافراً

وقالوا : هيا بنا إلى بلدة نُقيم فيها حدود الله ونحكم بشرعه مُنكرين هذه البدع المُضلّة

بالفعل تركوا أهاليهم وأُسرهم وانطلقوا ليقيموا الدولة الإسلامية في منطقة النهروان وأرسلوا إلى جميع الأمصار ليحثّوا الناس على اللّحاق بهم لإقامة دولة تحكم بشرع الله

في هذا الوقت كان عليّ يستعد لاستئناف الحرب مع معاوية مرة أخرى .. فأرسل رسالة لهؤلاء الخوارج ليعودوا إلى أهلهم ووطنهم : « بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب (كانا زعيما الخوارج) ومَن معهما من الناس .. أما بعد .. فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناهم حكمين (يقصد أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص) قد خالفا كتاب الله واتّبعا هواهما بغير هدى من الله .. فلم يعملا بالسُّنة ولم يُنفذا القرآن حكماً .. فبرئ الله منهما ورسوله

والمؤمنـون .. فـإذا بلغكـم كتـابي هـذا فأقبلـوا إلينـا .. فإنـا سـائرون إلى عدوّنـا وعدوكـم .. ونحـن عـلى الأمـر الأول الـذي كنـا عليْـه)

فكتبـوا إليـه : (أمـا بعـد .. فإنـك لم تغضـب لربّـك وإنمـا غضبـت لنفسـك.. فـإن شـهدت عـلى نفسـك بالكُفـر واسـتقبلت التوبـة .. نظرنـا فيـما بيننـا وبينـك وإلّا فقـد نبذنـاك عـلى سـواء .. إن اللـه لا يُحـب الخائنـين)

فلـما قـرأ كتابهـم أيقـن أنهـم وصلـوا لحالـة ميئـوس منهـا .. ورأى أن يدعُهـم ويمـضي بالنـاس ليواجـه أهـل الشـام فيناجزهـم حتـى يفيئـوا إلى أمـرِ اللـه

لكـن الخـوارج تحوّلـوا لمـا يُشـبه التنظيـم الإرهـابي فكانـوا يقطعـون الطريـق عـلى النـاس ويوقفـون المـارّة .. يسـألونهم عـن رأيهـم في أبي بكـر وعمـر وعثـمان وعـليّ .. فـإذا لم يجيبوهـم بمـا يريـدون يقولـوا : إنكـم تتبعـون الهـوى وتُوالـون الرجـال عـلى أسـمائهم لا عـلى أفعالهـم.. واللـه لنقتلنّكـم قتلـة مـا قتلناهـا لأحـد

ويقتلوهـم .. فصـاروا تنظيـم مُرعـب لـكل أهـل العـراق والبلـدان المحيطـة

يرون خنزير لأحد أهالي الذمّة فيصيحوا : هذا فسادٌ في الأرض

ويضربونـه بالسـيوف حتـى يسـقط .. وهكـذا صـاروا لا يرحمـون أحـداً لدرجـة أنهـم بقـروا بطـن امـرأة حبـلى لعبـد اللـه بـن خبّـاب بعدمـا قتلـوه

فأرسـل عـليٌّ إليهـم أحـد رجالِـه يدعوهـم إلى الرجـوع عـن هـذا الطريـق.. فقتلـوه

فخرج عليّ إليهم بجيشه ووقف يقول لهم : ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم أقتلهم بهم .. ثم أنا تاركم وكاف عنكم حتى ألقى أهل المغرب فلعلّ الله يقبل بقلوبكم ويرُدّكم إلى خيرٍ ممّا أنتم عليْه من أمركم

فقالوا : كلنا قتلهم .. وكلنا مُستحلّ لدمائهم ودمائكم

عليّ : أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المِراء واللّجاجة وصدّها عن الحق .. وطمع بها النزق .. وأصبحت في الخطب العظيم .. إني نذيرٌ لكم أن تُصبحوا تلعنكم الأمة غداً صرعى بأثناء هذا الوادي وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربكم ولا برهان مبين.. ألم تعلموا أني نهيتكم عن التحكيم ونبأتكم أنها مكيدة وأن القوم ليسوا بأصحاب دين فعصيتموني !! .. فلمّا فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسُّنة فنبذنا أمرهما .. ونحن على الأمر الأول.. فمن أين أتيتم ؟

قالوا : إنا حكمنا .. فلما حكمنا .. أثِمنا .. وكُنا بذلك كافرين .. وقد تُبنا .. فإن تُبت فنحن معك ومنك .. وإن أبيت فإنا مُنابذوك على سواء

عليّ : أصابكم حاصب ولا بقي منكم وابر .. أبعد إيماني برسول الله وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله أشهد على نفسي بالكفر!! بيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا والخروج على جماعتنا وتضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم إن هذا لهو الخسران المُبين .. والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم

عنـد اللـه قتلهـا فكيـف بالنفـس التـي قتلهـا عنـد اللـه حـرام
فتنـادوا : لا تخاطبوهـم ولا تكلّموهـم وتهيـأوا للقـاء اللـه .. الـرواح الـرواح إلى الجنـة
وظلّوا يهتفون : الرواح الروح إلى الجنّة
حتـى حدثـت المواجهـة .. وهزمهـم جيـش عـليّ شرّ هزيمـة وقتلـوا منهـم الكثـير وتفـرّق الباقـون في ولايـات الدولـة الإسـلامية وتركهـم عـليّ فلـم يتتبعهـم
الأزمـة الأخطـر أنـه كان في جيـش عـليّ مَـن لـه ابـن أو أخ أو أب في جيـش الخـوارج لذلـك فقـد عـاد الجيـش مُنهـك نفسـياً مـمّا حـدث .. كانـوا جميعـاً يعلمـون أنهـم يحاربـون في سـبيل الدفـاع عـن الحـق لكـن حتـى الدفـاع عـن الحـق يكـون مؤلمـاً وقاسـياً ومُنهـكاً عندمـا يكـون الباطـل مـع أخـوك أو إبنـك أو أبـوك
وإذا أضفت عليْه إراقة الدماء يكون كرباً عظيماً
انتهـوا مـن حـرب الخـوارج وانتـصروا لكنهـم تغـيّروا نفسـياً .. الحـزن والسـخط مـلأ الصـدور والإكتئـاب اجتـاح النفـوس .

(إمامُ الزاهدين)

أُقتنص عليّ من فضائله
جملة قاسية ومُؤلمة تقرأها كثيراً في مراجع التاريخ ولها جذور عميقة في حياة الفارس .. عليّ بن أبي طالب
ماذا لو قتل عليّ كل بني أمية الذين حاربوه في موقعة الجمل بعد ما قدر عليهم ثم تركهم يفرّون إلى معاوية فيحاربوه مرة أخرى ؟؟
ماذا لو ذبح الخوارج كلهم بعدما انتصر عليّهم ولم يتركهم يختبئون وسط الناس ويصيروا شوكة في قلب دولته ؟؟
وهذا عمرو بن العاص الذي استخدم دهاءَه لنُصرة معاوية
ماذا لو انقضّ عليّ عليّه وقتله وقتما أسقطه أثناء مبارزته ورفع عمرو ثيابه ؟؟
كان عليّ يقول (والله ما معاوية بأدهى منّي .. لكنه يغدُر ويفجُر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس)
يريد أن يقول للناس أن الندالة والشرّ لا يحتاجان لموهبة ولا قدرات خاصة ولولا أن نفوس الأحرار والطيبين تكرههما وتأباهما لانقلبت الأوضاع تماماً

معاوية كان يشتري رؤساء القبائل بالمال وكان الناس يقولون لعليّ : أنت تملك بيوت المال فلتفعل كما يفعل معاوية

فيقول : إني لأعرف أن هذا يصلحهم .. ولكني لن أُصلحهم بفساد نفسي

حتى أخوه عقيل بن أبي طالب عندما أتاه يطلب منه المال .. أعطاه كما يعطي بقية الناس .. فطلب منه عقيل أربعين ألفاً ليقضي ديناً له

فقال له عليّ : ما هي عندي .. ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فإنّه أربعة آلاف (يقصد العطاء الذي يصرفه لكل الناس) فأدفعه إليك

عقيل : بيوت المال بيدك وأنت تسوِّفني بعطائك ؟ !

عليّ : أتريدني أن أدفع إليك أموال المسلمين وقد ائتمنوني عليها ؟

عقيل غاضباً : لأذهبنّ إلى رجلٍ يُعطيني .. لأذهبنّ إلى معاوية

وذهب إلى الشام عند معاوية الذي استقبله أحسن استقبال وأغدق عليْه بالأموال

واستغلّ معاوية ذلك فكان أثناء سبّه لعليّ على المنبر يقول للناس : يا أهل الشام .. ما ظنّكم برجل لا يصلح لأخيه ؟

وكان معاوية يسأل عُقيل : أنا خيرٌ لك أم أخيك عليّ

فيرد عقيل : إنّ أخي آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دُنياك على دينك .. فأخي خيرٌ لنفسه منك لنفسك وأنت خيرٌ لي منه

وعندما سأله معاوية قائلاً : يا أبا يزيد .. كيف تركت عليّاً وأصحابه ؟؟

عقيل : كأنّه وأصحابه .. مُحمّد رسول الله وأصحابه إلّا أنّي لم أرَ رسول الله فيهم .. وكأنّك وأصحابك أبو سفيان وأصحابه إلّا أني لم

أرَ أبـا سـفيان فيكـم
الأمـور واضحـة حتـى أنـه انتـشرت جملـة مُعـبّرة في هـذا العـصر « الصـلاة خلـف عـليّ أقـوَم والطعـام عـلى مائـدة معاويـة أدسَـم « تعامـل عـليّ مـع أقربائـه بعـدل فخذلـوه وتعامـل مـع أعدائـه بمـروءة فاقتنصـوه ..
اقتنصوه من فضائله
كـم هـي خسيسـة ودنيئـة هـذه الدنيـا التـي تكـون فيهـا الفضائـل نقطـة ضعـف !!
مـا أرخـص وأحـطّ هـذه الدنيـا التـي تكـون فيهـا الفضائـل سـبباً لهزيمـة الأبطـال وانتصـار الأشرار !!
عرضـوا عـلى عـليّ كثـيراً الجلـوس مـع معاويـة ومُسـاومته حتـى يسـتقرّ الحـال ويملـك قـدرة القضـاء عليْـه .. لكنـه عـاش حياتـه لا يديـن إلّا بديـن الحـق ولا يكـره شـيئاً قـدر كراهيتـه للموائمـات واللعـب بالمبادىء والقيـم مـن أجـل المنفعـة
وكان يقـول دائمـاً : واللـه واللـه .. لحفـر بئريـن بإبرتـين .. وكنـس أرض الحجـاز يـوم ريـح بريشـتين .. ونقـل بحريـن زاخريـن بمنخلـين إلى أرض الصعيـد... أهـون عـليّ مـن طلـب حاجـة مـن لئيـم
رفض مُهادنة أي شخص من أفراد النظام الذي ثار عليْه الناس
فـكان محـور وصيّتـه لمحمـد بـن أبي بكـر عندمـا ولّاه عـلى مـصر : إنّ شرّ وزرائـك مَـن كان لـلأشرار قبلـك وزيـراً ومـن شـاركهم في الآثـام فـلا يكـون لـك بطانـة فإنهـم أعـوان الظلمـة وإخوانهـم
بـدأ عـليّ خلافتـه بمعـاداة صريحـة لـكل المنتفعـين مـن النظـام السـابق فأعلـن أن كل قطيعـة اقتطعهـا عثـمان لأحـد مـن أقاربـه وكل مـال أعطـاه مـن مـال اللـه فهـو مـردود

وقال للناس : إن الحقّ القديم لا يُبطله شئ .. فوالله لو وجدته قد تزوجت به النساء وتفرّق في البلدان .. لرددتُه إلى حاله .. فإن في العدل سِعة ومن ضاق عليْه الحق فالجور عليْه أضيق

سار بسيرة عمر بن الخطاب في رعيّة أشدّ وأعسر وأرغب في الدنيا من رعيّة عُمر وفي ظروف أصعب مع افتراق الشمل وكثرة الفتن والحروب

وكان أزهد الناس فظلّ في خلافته كما كان قبلها يلبس أخشن الثياب وأبلاها

اعتاد ألّا يبيت ليلة وبيت المال فيه دينار واحد .. فكان يُقسّم الأموال أولاً بأول على الشعب بالتساوي ثم يكنس بيت المال ويرشُّه .. ويصلي ركعتين فيه ويقول : يا دُنيا غُرّي غيري فقد طلقتك ثلاثاً

يدخل عليْه عُقبة بن علقمة يوماً فإذا بين يديه كسر يابسة ولبن حامض .. يقول عقبة : حتى آذتني حموضته

فقال له عقبة : يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا ؟؟

فردّ عليّ ببساطته المعتادة : يا أبا الجنوب .. كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ويلبس أخشن من هذا .. وأشار إلى ثيابه .. فإن لم آخذ بما أخذ به خفت ألّا ألحق به

كان دائماً يقول : لا يكون الرجل مؤمناً قيّماً لأهله حتى لا يُبالي أي ثوبيه لبس ولا ما سدّ به فورة الجوع

عاش إماماً للزاهدين في كل زمان ومكان

وكان على الرغم من قوته الشديدة وشجاعته الفريدة وأنه لم يُصارع أو يُبارز أحداً إلا غلبه .. يملك أندر مروءة تراها في مُقاتل .. وكان يُوصِي أولاده : لا تدعون أحد لمبارزة ولكن إذا دُعيتم فأجيبوا

فـإن الداعـي باغـي والباغـي مـصروع
عـلى كـثرة الحـروب التـي خاضهـا في خلافتـه لكنـه كان في غـير أوقاتهـا ينـزل الأسـواق ويراقـب الرعيّـة ويُعاقـب مَـن يخطـىء .. وكان يسـير بالـدرة كعمـر ليزجـر بهـا مـن يخطـىء .. لكـن الزمـن اختلـف .. والنـاس تغـيّرت .. أو ظهـرت عـلى حقيقتهـا فلـم يعـد ذلـك يزجرهـم عـن الدنايـا
وجـد يومـاً درعـاً لـه يحملـه رجـل مسـيحي فأخـذه إلى شُريـح القـاضي وجلـس أمامـه قائـلاً : هـذه درعـي
فقال المسيحي : ما هي إلا درعي أنا
فقال شريح لعليّ : ألك بيّنة ؟؟
عليّ : لا
فحَكَـم القـاضي أن يأخذهـا المسـيحي الـذي حملهـا وانـصرف ثـم عـاد سريعـاً وهـو يقـول : أشـهد أن هـذه أحـكام الأنبيـاء .. أمـير المؤمنـين قدّمنـى إلى قاضيـه .. وقاضيـه يقـضي عليْـه
أسـلم الرجـل واعـترف أن الـدرع سـقطت مـن عـليّ أثنـاء مسـيره إلى صِفّـين
ففرح عليٌّ بإسلامه وأهداه الدرع وفرساً .

(سقوط مصر)

بمُجرّد انتهاء عليّ من حرب الخوارج بدأ الإستعداد لحرب معاوية.. ذلك العدو اللّدود الذي اختطف ثلث الدولة الإسلامية ويسعى لإختطاف بقيّتها

فنادى في قبائل العراق يدعوهم للإنطلاق إلى الشام فأجابه رؤساؤهم بمكر : قد نفدت السّهام وتكسّرت السُّيوف ونصلت الرماح .. فأعدنا إلى مصرنا نستريح ونُجدّد أدواتنا ثم ننهض معك إلى عدوّنا

وشرع معاوية في إرسال أعطياته لرؤساء القبائل في جيش عليّ ليشتري ذممهم فيعطون عليّ الطاعة بألسنتهم ويضمرون له الغدر والخُذلان في قلوبهم

بعد عودتهم للكوفة دعاهم عليّ مرة أخرى للخروج لمواجهة جيش معاوية لكنهم لم يجتمعوا

فدعا رؤسائهم وزعمائهم يسألهم فيمَ الاستبطاء ويقول لهم : مالكم عباد الله إذا أمرتكم أن تنفروا اثّاقلتم إلى الأرض .. أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة .. وبالذُّل والهوان من العزّ خلفاً .. وكُلّما ناديتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموتِ في سكرة .. وكأنّ

قلوبكم قاسية وأنتم لا تعقلون
كانوا يسوفون ويماطلون وعليّ محتارٌ في أمرهم
ومعاوية يرسل الأموال لرجاله في مصر .. ليبدأوا في إثارة الناس والمُطالبة بدم عثمان ويُحدثوا اضطرابات داخلية تمهيداً لاحتلالها
وبلغ ذلك عليّ فقال : ليس لمصر إلّا الأشتر
وانطلق الأشتر إلى مصر وكان يملك من الكفاءة والقوة ما يؤهله للسيطرة على الأمور هناك لكن معاوية علم من عيونه في دولة عليّ فأرسل للأشتر من يقتله غدراً بالسمّ في شربة عسل .. ومات
وعندما علم معاوية بنجاح العملية وقف يقول : إنه كانت لعليّ يمينان فقُطعت إحداهما بصِفّين (عمار بن ياسر) وقُطعت الأخرى اليوم (الأشتر)
وحزن عليْه عليّ حُزناً شديداً فقد كان من أخلص قياداته وأشجعهم
وقال : على مثله فلتبكِ البواكي
وقبل أن يرسل عليّ غيره .. أرسل معاوية جيشاً بقيادة عمرو بن العاص للإستيلاء على مصر فقد اتفقا من البداية على أنّ عمرو سينصره على عليّ مقابل مصر .. وها هو يُنفّذ الإتفاق
حاصر عمرو بن العاص مصر بجيشه فأرسل أميرها محمد ابن أبي بكر لعليّ يطلب المدد فقام عليّ من فوره وخطب في الناس يحثّهم على الجهاد لنجدة المستغيثين في مصر والدفاع عنها قبل أن يحتلّها معاوية
وقال لهم : اخرجوا بنا غدا إلى الجرعة (وهي بين الكوفة والحيرة) لنجتمع وننطلق من هناك
فلما كان الغد نزلها .. حتى انتصف النهار ولم يأتِه أحد
فعاد ثائراً .. واستدعى أشراف الناس وزعمائهم وقال لهم :

الحمد لله على ما قضى من أمره وقدر من فعله وابتلاني بكم.. أيتها القرية التي لا تطيع إذا أمرت ولا تجيب إذا دُعيت .. لا أبا لغيركم .. ما تنتظرون بمصركم والجهاد على حقكم ؟ .. فوالله لئن جاء الموت .. وليأتني .. ليفرقنّ بيني وبينكم وأنا لصُحبتكم قالٍ .. وبكم غير كثير .. لله أنتم ! .. أما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم إذا أنتم سمعتم بعدوّكم ينتقص بلادكم ويشنّ الغارة عليكم ؟ .. أوليس عجيباً أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه إلى أي وجهٍ شاء وأنا أدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس فتتفرقون عنّي .. تعصونني وتختلفون عليّ

فقام اثنان من زعمائهم وقد أخزاهم كلامه فجمع كلٍ منهم من قبيلته حتى كان مع عليّ ألفان .. كان سيرسلهم إلى مصر رغم قلّة عددهم لإنقاذ ما يمكن انقاذه

لكن .. سبق السيف العزل

سقطت مصر في جُعبة معاوية بعد ما اقتحمها عمرو بن العاص بجيشه وأسروا أميرها محمد ابن أبي بكر .. وقتلوه ثم ألقوه في جيفة حمار وأضرموا فيه النار

بلغ ذلك عائشة فجزعت على أخيها جزعاً شديداً وظلّت تدعوا على معاوية وعمرو حتى توفيت

أمّا عليّ فقال : أما والله إنّ حُزننا عليْه يبلغ أضعاف سرورهم به.. ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجُور والظُلم الذين صدُّوا عن سبيل الله .. وبغُوا في الإسلام عوجاً .. ألا وإنّ محمد بن أبي بكر قد استشهد .. فعند الله نحتسبه فقد كان كما علمت ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويُحب هديَ المؤمن .. وإنّي والله ما ألوم نفسي على التقصير .. فإني لمُقاساة الحرب لجدٌ

خبير.. وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب فأستصرخكم وأناديكم نداء المستغيث .. فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى تصير بيَ الأمور إلى عواقب المساءة .. فأنتم القوم لا يدرك بكم الثأر ولا تنقض بكم الأوتار.. دعوتكم إلى غوث إخوانكم منذ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق .. وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو، ولا اكتساب الأجر، ثم خرج إليّ منكم جنيدٌ متذانبٌ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون .. أُفٍ لكم !

وتركهم وانصرف غاضباً

أصبح مُعظم الناس مُتفرّغين للجِدال العقيم يُنفقون فيه وقتهم وجهدهم حتى جاؤوه يوماً يقولون له : يا أمير المؤمنين .. ما رأيك في أبي بكر ؟؟

فنظر إليهم حزيناً مُغتاظاً وقال : أوَ قد فرغتم لذلك وهذه مصر قد فتحها أهل الشام وقتلوا واليها محمد بن أبي بكر ؟

والمشكلة الأكبر وجود الخوارج معه في الكوفة .. فهو هزمهم لكنه لم يقضي عليهم نهائياً فبدأوا ينشرون أفكارهم المتطرفة بين الشباب.. وانضمّ إليهم البعض فانتشروا كالسرطان في دولة عليّ يُجاهرونه بالعداوة ويقولون له : والله يا عليّ لا نُصلّي خلفك ولا نُطيع أمرك وفي الوقت الذي كان معاوية يطلق جيوشه في العراق في أطراف دولة عليّ ليُسيطر على مساحات وبلاد أكبر كان عليّ في الكوفة يحُثّ الناس على الدفاع عن الدولة لكنهم يتثاقلون ويؤثرون الراحة على الجهاد والدفاع عن الحق

فقام فيهم عليّ يقول : يا أهل الكوفة .. كُلّما سمعتم بجمع من أهل الشام أظلّكم .. انجحر كل امرىءٍ منكم في بيته وأغلق عليْه

بابـه انجحـار الضّـب في جحـره والضبـع في وجارهـا .. المغـرور مـن غررتمـوه .. ومـن فـاز بكـم فـاز بالسـهم الأخيـب .. لا أحـرار عنـد النـداء ولا إخـوان عنـد النجـاء .. إنّـا للـه وإنـا إليـه راجعـون .. مـاذا منيـت منكـم ؟ عُميٌ لا يبـصرون .. وبكـمٌ لا ينطقـون وصـمٌ لا يسـمعون .. إنّـا للـه وإنـا إليـه راجعـون

سـيطر معاويـة عـلى محافظـات كثـيرة في العـراق ثـم وجـه جيشـاً لمكـة أثنـاء الحـج لاحتلالهـا لكنهـم فشـلوا بعـد أن أرسـل عـليٌّ المـددَ اليهـا فأرسـل معاويـة بِـسر بـن أبي أرطـاة بجيـشٍ مكـوّن مـن ثلاثـة آلاف مُقاتـل قدمـوا المدينـة فاحتلّوهـا وأخـذوا البيعـة لمعاويـة غصبـاً وهـرب أبـو أيـوب الأنصـاري الـذي كان عامـلاً لعـليّ عليهـا وذهبـوا إلى مكـة مـرة ثانيـة وأخـذوا البيعـة غصبـاً

وكان بـسر هـذا سـفاحاً بمعنـى الكلمـة يقتـل مـن يرفـض البيعـة لمعاويـة فـوراً بـدمٍ بـارد دون تفاهـم

جمـع عـليّ أشراف أَهْـل الْكُوفَـةِ وشـيعته للمـرة الأخـيرة وقـال لهـم : الحمـد اللَّـه .. وأشـهد أن لا إلـه إلا اللَّـه وأن محمـدًا عبـده ورسـوله.. أمـا بعـد .. أيهـا النَّـاس .. فإنكـم دعوتمـوني إلى هَـذِهِ البيعـة فلـم أردكـم عَنْهَـا ثُـمَّ بايعتمـوني عَـلَى الإمـارة ولم أسـألكم إياهـا .. فتوثّـب عـليَّ متوثبـون كفـى اللَّـه مؤنتهـم وصرعهـم لخدودهـم وأتعـس جدودهـم وجعـل دائـرة السـوء عليهـم .. وبقيت طائفة تحـدث فِي الإسـلام أحداثاً.. تعمـل بالهـوى وتحكـم بغـير الحـق .. ليسـت بأهـلٍ لمـا ادّعت..وهـم إذا قيـل لهـم : تقدّمـوا قدمـاً .. تقدّمـوا .. وإذا قيـل لهـم : أقبِلـوا .. أقبَلـوا .. لا يعرفـون الحـق كمعرفتهـم الباطـل وَلا يبطلـون كإبطالهـم الحـق .. أمـا إني قـد سـئمتُ مـن عتابكـم وخطابكـم فبيّنـوا لي مَـا أنتـم فاعلـون .. فَـإِن كنتـم شـاخصين معـي إلى عـدوّي فهـو مَـا أطلـب وأحـب.. وإن

كنتـم غـير فاعلـين فاكشـفوا لي عَـن أمركـم أرى رأيـي .. فوالله لـئن لم تخرجـوا معـي بأجمعكـم إلى عدوكـم فتقاتلوهـم حَتَّـى يَحْكُـمَ اللَّـهُ بَيْنَنَـا وبينهـم وَهُـوَ خَـيْرُ الْحَاكِمِـينَ .. لأدعـونّ اللَّـه عليّكـم .. ثُـمَّ لأسـيرنّ إلى عدوكـم ولـو لم يكـن معـي إلا عـشرة .. أأجـلاف أَهْـل الشَّـامِ وأعرابهـا أصـبرُ عَـلَى نُـصرة الضـلال وأشـدُّ إجتماعـاً عَـلَى الباطـل منكـم عَـلَى هُداكـم وحقكـم .. مَـا بالكـم ؟؟ مَـا دواؤكـم ؟؟ !!

يقول ذلك وهو في قِمّة غضبه وسخطه .

(أسوأ خذلان)

أرسل أبو الأسود الذي كان عاملاً على بيت المال بالبصرة رسالة إلى عليّ يقول له : إن ابن عمِّك وعاملك ابن عباس قد أكل ما تحت يده بغير علمك ولا يسعني كتمان ذلك والسلام

وكان عبد الله ابن عباس قد عيّنه عليّ والياً على البصرة

فجع عليٌّ من الرسالة .. وبدأ التحقيق في الموضوع وكتب لابن عباس فوراً يقول :

أما بعد فقد بلغني عنك أمرٌ إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك وأخربت أمانتك وعصيت إمامك وخُنت المسلمين .. بلغني أنك جردت الأرض وأكلت ما تحت يديك .. فارفع إليّ حسابك واعلم أن حساب الله أشدُّ من حساب الناس والسلام

فرد عليْه ابن عباس : أما بعد فإن الذي بلغك عني باطل .. وأنا لِمَا تحت يدي أضبط وأحفظ .. فلا تُصدّق عليَّ الأظناء رحمك الله والسلام

فكتب إِلَيْهِ عليّ : أما بعد فإنه لا يسعني تركك حَتَّى تُعلمني ما أخذت من الجزية ؟ ومن أين أخذته وفيما وضعت ما أنفقت

منـه ؟؟ .. فاتـقّ اللـه فيـما ائتمنتـك عليْـه واسـترعيتك حفظـه .. فـإن المتـاع بمـا أنـت رازي منـه قليـل .. وتباعـة ذلـك شـديدة والسـلام

فلما رأى ابن عباس أَنَّهُ غير مقلع عَنْهُ كتب إِلَيْه :

أمـا بعـد فقـد فهمـت تعظيمـك عـليّ مـرزأة مـا بلغـك أني رزأتـه مـن أهـل هـذه البـلاد .. ووالله لـئِن ألقـى الله بمـا فِي بطـن هَـذِه الأرض مـن عقيانهـا ولجينهـا وبطـلاع مـا عَـلَى ظهرهـا أحـبُّ إليّ مـن أن ألقـاه وقـد سـفكت دمـاء الأمـة لِأنـال بذلـك المُلـك والإمـارة .. فابعـث إلى عملـك مَـن أحببـت .. ولـئن لم تدعنـي مـن أسـاطيرك لأحملنُّـه إلى معاويـة يُقاتلـك بـه

فلـما قـرأ عـليّ الكتـاب قَـال بمـرارة : لا حـول ولا قـوة إلا باللـه .. أولَـمْ يشـاركنا فِي هَـذِه الدمـاء ؟ !!

لم يكـن عـليّ مُصدقـاً مـا يقـرأه .. مَـن الـذي يقـول هـذا ؟؟ ابـن عمـه وصديقـه وأكـثر مـن يعلـم فضلـه ويعلـم كيـف حـاول حقـن الدمـاء في كل المعـارك التـي اضطـرّ لخوضهـا ؟

كان بجانبـه حينـما كان يحـاول مـع طلحـة والزبـير لتجنـب الحـرب .. وكان بجانبـه حينـما بـذل قصـارى جهـده مـع الخـوارج لحقـن الدمـاء .. وكان معـه حينـما خـرج يعـرض عـلى معاويـة المبـارزة ليكفـي المؤمنـين شرّ القتـال

لم يمر في حياته بمثلِ ما يمرُّ به هذه الأيام

ما الذي حدث للناس !!

هل يتغيرون أم يظهرون على حقيقتهم !!

وهـل عليْـه أن يسـاعدهم عـلى الإنحـراف أو يُدلّـس عليّهـم حتـى يأمـن مكرهـم وغدرهـم وسـخطهم عليْـه !!

هل أصبح ثقيلاً عليهم بمبادئه وفضائله !!

ألف سؤال وسؤال يدورون في عقله ولا يجد لهم إجابة واضحة
أخوه عقيل من شهور والآن ابن عمه العباس
حمل ابن عباس المال وكان ما يقارب الستّة ملايين وغادر البصرة ليلاً مُتجهاً إلى مكة ومعه بعض أقاربه ليحموه من بطش الناس

وعلم عليّ بن أبي طالب فأرسل له :
أما بعد فإني كنت أشركتك فِي أمانتي ولم يكن فِي أهل بيتي رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ .. فلما رأيت الزمان عَلَى ابن عمك قد كلب والعدو عليْه قد حرب وأمانة الناس قد خربت وهذه الأمة قد فُتنت .. أعطيته ظهرك وفارقته مع القوم المُفارقين وخذلته أسوأ خذلان للخاذلين وخنتهُ مع الخائنين .. فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة أدّيت .. كأنك لَمْ تكن الله تريد بجهادك ؟! وكأنك لَمْ تكن عَلَى بينةٍ من ربك وكأنك إنما كنت تكيدُ أمة مُحَمَّد عَن دنياهم وتطلب غرتهم عَن فيئهم !!.. فلما أمكنتك .. أسرعت العدوة وغلظت الوثبة وانتهزت الفرصة واختطفت ما قدرت عليْه من أموالهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الهذيلة وظالعها الكسير .. فحملت أموالهم إلى الحجاز رحيب الصدر غير متأثم من أخذها كأنك لا أبا لغيرك إنما حزت لأهلك تراثك عَن أبيك وأمك .. سبحان الله أفما تؤمن بالمعاد؟!! ألا تخاف سوء الحساب ؟! أما تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟! أو ما يعظم عليك وعندك أنك تستثمن الإماء وتنكح النساء بأموال اليتامى والأرامل والمُجاهدين الَّذِينَ أفاء الله عليهم البلاد !! اتقِ الله وأدِّ أموال القوم .. فإنك والله إن لم تفعل ذَلِكَ ثُمَّ أمكنني الله منك أعذر إِلَيْهِ فيك حَتَّى آخذ الحق وأردُّه

وأقـم الظـالم وأُنصـف المظلـوم .. والسـلام

فكتب إِلَيْهِ ابن عباس :

أمـا بعـد فقـد بلغنـي كتابـك تعظـم عـليّ إصابـة المـال الَّـذِي أصبتـه مـن مـال البـصرة .. ولعمـري إن حقّـي فِي بيـت المـال لأعظـم مـما أخـذت مِنْـه والسـلام

فكتب إِلَيْهِ عليّ :

أمـا بعـد .. فـإن مـن أعجـب العجـب تزيـين نفسـك لـك أن لـك فِي بيـت المـال مـن الحـق أكـثر مـما لرجـل مـن المسـلمين ولقـد أفلحـت إن كَانَ ادعـاؤك مـا لا يكـون وتمنّيـك الباطـل يُنجيـك مـن الإثـم عمـرك اللـه إنـك لأنـت السـعيد إِذَا .. وقـد بلغنـي أنـك اتخـذت مكـة وطنـاً وصيرتهـا عطنـاً واشـتريت مولـدات المدينـة والطائـف تتخيرهـن عَـلَى عينـك وتعطـي فيهـن مـال غـيرك .. واللـه مـا أحـب أن يكـون الَّـذِي أخـذت مـن أموالهـم لي حـلالاً أدعـه ميراثـاً .. فكيـف لا أتعجـب مـن اغتباطـك بأكلـه حرامـا !!! فضـحّ رويـداً فكأنـك قـد بلغـت المـدى .. حَيْـثُ ينـادي المُغـترّ بالحـسرة ويتمنـى المُفـرّط التوبـة والظـالم الرجعـة وَلاتَ حِـينَ مَنـاصٍ والسـلام

كانـت آخـر رسـالة لعـليّ وقـد عـزم أن يسـتعيد هـذا المـال مهـما كانـت العواقـب ..

(سقوط الفارس)

وقف عليّ يقول للناس :
« أيها الناس المُجتمعة أبدانهم المختلفة قلوبهم وأهواؤهم .. ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم .. كلامكم يُوهن الصم الصلاب وفعلكم يطمح فيكم عدوكم .. إذا دعوتكم إلى الجهاد قلتم : كيت وكيت وذيت وذيت أعاليل بأباطيل .. وسألتموني التأخير فعل ذي الدّين المَطُول حيدي حياد (يعني داؤكم المماطلة والمرواغة واللف والدوران) لا يدفع الضيم الذليل ولا يُدرَك الحق إلا بالجدّ والعزم واستشعار الصبر .. أي دار بعد داركم تمنعون ومع أي إمامٍ بعدي تقاتلون !! .. المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب .. أصبحتُ لا أطمع في نصركم ولا أُصدّق قولكم .. فرّق الله بيني وبينكم وأبدلني بكم مَن هو خيرٌ لي منكم .. أما إنكم ستلقون بعدي ذُلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وإثرة يتخذها الظالمون فيكم سُنّة .. فيُفرق جماعتكم ويُبكي عيونكم ويُدخِل الفقر بيوتكم .. وتتمنّون عن قليلٍ أنكم رأيتموني فنصرتموني .. وستعلمون حقّ ما أقول ولا يبعد الله إلا من ظلم كانت هذه هي آخر كلمات عليّ لأهل العراق .. قالها بعد أن

امتلأ قلبه وحلقه بكل مرار الدنيا
قالها ثم رفع المُصحف ووضعه على رأسه ونظر إلى السماء وقال :
(اللهُمّ إنّي سألتهم ما فيه فمنعوني .. اللهُم إني قد مللتُهم وملّوني.. أبغضتهم وأبغضوني .. وحملوني على غير خُلُقي وعلى أخلاقٍ لم تُعرَف لي .. فأبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم بي شراً منّي .. ومِت قلوبهم ميت الملح في الماء)
هكذا كان آخرُ لقاءٍ له بأهل العراق بعد كل الخُذلانات التي لاقاها منهم ومن غيرهم
كانت حياته في آخر أيامه مِحنة ومُعاناة بكل المقاييس .. فقد كان يرى الحقّ واضحاً أمامه ويرى في أنصاره القُدرة على بلوغ هذا الحق وسحق الباطل لكنهم يتخاذلون عن نُصرته ويجحدون فضله.. كرهوا الموت وتعلّقوا بالحياة ... سئموا التعب واستلذّوا الراحة .. فلم يعد يُطيعه أحدٌ إلا القليل من أصحابه الذين لا يُغنون عنه شيئاً
لم يكن عليّ يتصورُ يوماً أن هؤلاء الناس الذين استجدوه ليقبل الخلافة يملّوه ويكرهوه
لم يكن قبلها يعلم أن هذه هي طبيعة الدُنيا
الناس يحبّون الشخص العادل القوي في الحق .. فقط إذا كان هذا الحق يعود عليهم بمنفعة ما .. يُحبّون الثائر مادامت ثورته لن تُعطّل مصالحهم وستأتي بحقوقهم دون مشقّة أو التزامٍ عليهم.. يُحبّونه فقط عندما يُعلمهم حقوقهم .. ويكرهونه إذا طالبهم بحقوق غيرهم
يعشقون أصحاب المبادىء ويُعظّمونهم طالما ظلّوا بعيدين عنهم لا يُلزمونهم بأفكارهم .. فإذا اقتربوا منهم وحاولوا تطبيق هذه المبادىء عليهم تضايقوا ونفروا منهم

النـاس غالبـاً مـا تكـره ذلـك الشـخص الـذي يتمسّـك بالحـقّ ويُريـد تطبيقـه دائمـاً بـلا اسـتثناءات
يملّون المثاليات حتى وإن أعلنوا دائماً اشتياقهم للحياة بها
يبغضُـون الشـخص الـذي ليـس لـه سـقطات لأنـه يعُرّيهـم أمام أنفسـهم الدنيئـة ويُشـعرهم دائمـاً أنهـم ناقصون
لم يكن أبداً الزبير ولا طلحة ولا ابن عباس ولا عقيل حالات فردية
ضـاق عـليّ بهـذه الحيـاة التـي يلتـفّ فيهـا النـاس حـول الفاجـر ويملُّـوا الثائـر .. صـار كمـن يحمـل ألـف بـركان في صـدره يريـدون الإنفجـار .. لم يعـد يتحمّـل هـذا الكـمّ مـن الزيـف والكـذب والغـدر والندالـة
خـاض معـارك عِظـام ذاق فيهـا الأهـوال لكنهـا كلهـا لم تُنهكـه نفسـياً كـما أنهكتـه غـدرة واحـدة مـن الغـدرات التـي مـرّ بهـا
كل هـذه المعـارك مجتمعـة لم تؤلمـه كألم انـصراف أخيـه عُقيـل عنـه وذهابـه لمعاويـة
كل هذه الحروب تحمّلها لكنه لم يتحمّل غدر ابن عباس به
لم يعـد يفتقـد أحـداً كافتقـاده لحبيبـه رسـول اللـه .. هـو الوحيـد الـذي كان يفهمـه ويُقـدّره حـق قـدره .. لـو كان معـه الآن لهانـت كل هـذه الأحـداث الرهيبـة ولأمكنـهُ تجاوزهـا .. لـو كان معـه لابتكـرَ حـلّا مـع هـؤلاء النـاس الذيـن أتـوا بـه للسـلطة ثـم تغـيّروا عنـه ونفـروا منـه
يتذكّـر الآن يـوم مـرض مرضـاً شـديداً وكان عنـده أبـا بكـر وعمـر يزورانـه وفوجـىء بالنبـي يدخـل عليْـه مُبتسـماً ومُجـرّد رؤيتـه للنبـي نـسي كل آلام مرضـه الشـديدة
لكنـه سـمع أبـا بكـر وعمـر يهمسـان للنبـي : يـا نبـيّ اللـه مـا نـراه إلاّ ميتـاً ..
فقـال النبـي بحسـم : لـن يمـوت عـليّ الآن .. ولـن يمـوت حتـى يُمـلأ غيظـاً .. ولـن يمـوت إلا مقتـولاً ..

تذكّر الآن هذه الواقعة وأيقن أن الموت قد اقترب .. والموت لمثلِهِ راحة ..

في هذا الوقت اجتمع رجلٌ يُدعى عبد الرحمن بن ملجم مع اثنين آخرين من الخوارج يتذاكرون أمر الناس فيُكفّرونهم ويعيبون على وُلاتهم وذكروا أهل النهروان فترحّمُوا عليهم

عبد الرحمن بن ملجم كان في جبهته علامة واضحة من أثر كثرة السجود وكان مشهوراً بكثرة أسئلته للصحابة عن سفاسف الأمور في الدين واهتمامه الشديد بها

اجتمعوا فقالوا : لو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد

فقال أحدهم : أنا أكفيكم عمرو بن العاص

وقال الآخر : أنا أكفيكم معاوية

وقال بن ملجم : وأنا أكفيكم عليّ بن أبي طالب

دخل بن ملجم الكوفة والتقى برفاقه من الخوارج وبينهم امرأة فائقة الجمال اسمها قِطام وكانت قد قُتل أبوها وأخوها يوم النهروان

فلما رآها أعجبته فخطبها .. لكنها اشترطت عليْه قائلة : لا أتزوّجك حتى تشفي غليلي .. لا أتزوّجك حتى تقتل عليّ

فقال لها بحسم : ما جئتُ إلا لقتل عليّ

جلس عليّ مع الحسن والحسين يقول لهم : يا بَنيّ إني صلّيت البارحة ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله .. فشكوتُ إليه ما أنا فيه من مُخالفةِ أصحابي وقلّة رغبتهم في الجهاد فقال لي : ادعُ الله أن يريحك منهم .. فدعوت الله

وكان الحسن والحسين وأنصار عليّ يعلمون أنه مُستهدف سواء من رجال مُعاوية وعمرو أو من فلول الخوارج الذين تفرّقوا في

بلاد المسلمين .. فاتفقوا أن يتناوبوا على بابه لحراسته .. يراهم عليّ وهو خارج للصلاة فيقول لهم : ما شأنكم ؟؟
فأخبروه
فقال لهم عليّ : تحرسوني من أهل السماء أم من أهل الأرض ؟؟
قالوا : بل من أهل الأرض
فابتسم قائلاً ببساطة : لا أحتاج .. فإنه لا يُقضى في الأرض حتى يُقضى في السماء
خرج عليّ كعادته قبل الفجر بنصف ساعة يُوقِظ الناس فيناديهم:
أيها الناس .. الصلاة الصلاة .. الصلاة الصلاة
فسمع من يُصلّي بالآية (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله)
كان صوت بن ملجم الذي دخل المسجد ووقف يُصلّي ركعتين لله
سمعه عليّ يُكرّر الآية دون أن يراه أو يعرفه فظنّ أنه نسيها ففتح عليْه المسجد وقال له : والله رؤوفٌ بالعباد
قالها وانصرف عليّ عائداً لداره .. فخرج وراءه بن ملجم ومن معه
التفّوا حوله .. جاء أحدهم من يمينه والآخر من يساره وبن ملجم من خلفه فضربه أحدهم بالسيف فتفاداها عليّ ورفع يده ليضربه لكن سبقته ضربة الغدر من خلفه .. ضربه بن ملجم على رأسه بالسيف وهو يصيح : الحُكم لله لا لك يا عليّ ولا لأصحابك
انفجرت الدماء من رأس عليّ .. حاول أن يتماسك ويقاوم لكنه لم يستطع .. فسقط على ركبتيه
أما رفاق بن ملجم فهربوا وحاول هو الهرب لكن الناس انقضوا عليْه وأمسكوه وكتّفوه
فقال له عليّ : أي عدوَ الله ألم أُحسن اليك ؟
بن ملجم : بلى

عليّ : فما حملَك على هذا ؟؟
بـن ملجـم : شـحذتُ سـيفي أربعـين يومـاً وسـألت اللـه أن يقتـل بـه شرّ خلقـه
عليّ : لا أراك إلاّ من شرّ خلق الله
يجري عليْه الحسن والحسين يصيحان : أبي .. أبي
يحتضنانه ويحاولان القيام به لإسعافه
لكنـه يمنعهـم ويقـول لهـم : النفـسُ بالنفـس يابنـي عبـد المطلـب .. إن هلكـت فاقتلـوه كـما قتلنـي .. وإن بقيـت رأيـتُ فيـه رأيـي .. ولا ألفينكـم تخوضـون دمـاء المسـلمين تقولـون قـد قتـل أمـيرُ المؤمنـين .. ألا لا يُقتلـنّ إلا قاتـلي .. انظـر يـا حسـن إن أنـا مـت مـن ضربتـي هـذه فاضربـه ضربـة بضربـة .. ولا تُمثلـنّ بالرجـل فـإني سـمعت رسـول اللـه يقـول « إياكـم والمِثلـة ولـو بالكلـب العقـور «
ينظـر لـه النـاس بدهشـة وهـم يرونـه مُنشـغلاً بالحـقّ حتـى وهـو يلفـظ أنفاسـه الأخـيرة
اسـتطرد عـليّ : أوصيكـما بتقـوى اللـه .. ولا تبغيَـا الدُنيـا وإن بغتكـما .. ولا تبكيَـا عـلى شيء زوي عنكـما .. وقُـولا الحـق وارحـما اليتيـم وأعينـا الضائـع واصنعـا للآخـرة وكونـا للظـالم خصيـماً وللمظلـوم نـاصراً .. واعمـلا بمـا في كتـاب اللـه .. ولا تأخذكـما في اللـه لومـة لائـم
ثم قال بصعوبة : لا إله إلّا الله
ردّدها ثلاث مرات .. ثم .. مات .

تمّت بحمد اللّه وتوفيقه

مراجع وكتب تاريخية
استندت عليها أحداث القصة :

١- الكامل لابن الأثير
٢- البداية والنهاية لابن كثير
٣- تاريخ الرسل والملوك للطبري
٤- تاريخ الإسلام للذهبي
٥- المبتدأ والخبر في تاريخ العرب لابن خلدون
٦- تاريخ دمشق لابن عساكر
٧- أطلس الخليفة علي لسامي المغلوث
٨- الطبقات الكبرى لابن سعد الزهري
٩- العقد الفريد ابن عبد ربه الاندلسي
١٠- أنساب الأشراف البلاذري
١١- مروج الذهب لابي الحسن المسعودي
١٢- عبقرية الإمام علي للعقاد
١٣- الفتنة الكبرى لطه حسين
١٤- علي وبنوه لـ طه حسين